مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

أديب الصَّحفيِّين وصحفيُّ الأدباء

عضو المجمع العلميِّ العربيّ

معروف الأرناؤوط

١٣١٠- ١٣٦٨هـ

١٨٩٢- ١٩٤٨م

تأليف

الدكتور نزار أباظة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

أديب الصحفيِّين وصحفيُّ الأدباء

عضو المجمع العلميِّ العربيّ

معروف الأرناؤوط

مجمع اللغة العربية بدمشق

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

أديب الصَّحفيِّين وصحفيُّ الأدباء

عضو المجمع العلميِّ العربيّ

معروف الأرناؤوط

١٣١٠- ١٣٦٨هـ

١٨٩٢- ١٩٤٨م

تأليف

الدكتور نزار أباظة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

تقديم ٧

مقدمة ١١

توطئة ١٥

القسم الأول : معروف الأرناؤوط سيرة حياة ٢٥

- **النشأة الأولى** ٢٧

الأسرة ٢٧

الدراسة والمكونات الثقافية ٢٨

- **الحراك** ٣٤

إلى اسطنبول ٣٤

إلى صفوف الثورة ٣٧

- **الاستقرار** ٣٨

في دمشق ٣٨

في المجمع العلمي العربي ٤٠

القسم الثاني : الأعمال ٤٧

- **بواكير قلم** ٤٩
- **معروف الصحفي** ٥٠

الصحافة أيام معروف الأرناؤوط ٥٠

الصحفي معروف الأرناؤوط ٥٤

جريدة الاستقلال العربي (١٩١٨) ٥٧

فتى العرب ٥٨
العلم العربي (١٩١٩) ٦٢
■ **معروف الأديب** ٦٧
■ **النقل عن الفرنسية** ٧١
■ **المؤلفات الروائية** ٧٢
على ضفاف البوسفور (١٩٢٣) ٧٣
سيد قريش (١٩٢٩) ٧٤
عمر بن الخطاب (١٩٣٦) ٧٨
طارق بن زياد (١٩٤١) ٨٢
فاطمة البتول (١٩٤٢) ٨٣
فردوس المعري (١٩١٤) ٨٥
القاهرة (رواية لم تتم) ٨٥
■ **المؤلفات المفقودة** ٨٧
■ **المؤلفات المسرحية** ٨٨
أحلام ودموع (١٩٢٩) ٨٩
مسرحيات أخرى ٩٠
■ **معروف الشاعر** ٩١
معروف الأرناؤوط في عيون معاصريه ٩٣
■ **الصورة الشخصية** ٩٥
■ **الفكر** ١٠٥
■ **الأسلوب** ١٠٧
خاتمة و نتائج ١١٣
أهم المراجع والمصادر ١١٥

تقديم

بقلم أ.د.
مازن المبارك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لله الحمد، ومنه العون، وصلى الله على معلم الناس الخير محمد وآله.

وبعد، فما زالت لجنة أعمال المؤسسين من المجمعيين ماضية في تنفيذ الخطة التي وضعتها لنفسها بتكليف من مجمع اللغة العربية، وهي خطة تقتضي إخراج كتب موجزة عمن لم يكتب عنه من المؤسسين والمجمعيين الأوائل، وقد صدرت من هذه السلسلة كتب عن عبد القادر المبارك، ومحمد سليم الجندي. وستصدر قريباً كتب عن الشيخ أمين سويد، ورشيد بقدونس ومرشد خاطر وسائر زملائهم المجمعيين. وهي كتب -على إيجازها- تُعرّف بهم وتلقي الضوء على حياتهم، وتذيع أخبارهم وآثارهم على وفق منهج موحّد التزمه المجمع في الكتابة عنهم جميعاً.

ورأت اللجنة بعد ذلك أن تتابع عملها ليشمل أعضاء المجمع بعد عصر التأسيس.. ووافق المجمع على الكتابة عن الراحلين من أعضاء المجمع الذين

لم يكتب عنهم ما يكفي للتعريف بهم وبآثارهم سواء أكانت كتباً أم مقالات ومحاضرات، وسواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة.

وستكون هذه الدفعة الجديدة من سلسلة التعريف بالمجمعيين جاهزة للنشر في الأيام القريبة القادمة إن شاء الله، وهي كتب عن الشيخ عبد الرحمن سلام، وعن سليم العنحوري، والأمير جعفر الجزائري، ومحمد البزم، وجميل صليبا، وأديب التقي، وغيرهم.

وبين أيدينا اليوم كتاب عن المجمعي الأستاذ "معروف الأرناؤوط"، وهو واحد من أكثر رجال عصره حركة ونشاطاً في العمل الثقافي والاجتماعي والوطني. إنه الألباني الذي عرفه أبناء جيلنا بصاحب "دارة سيد قريش" في ساحة النجمة وسط دمشق. لقد كان الأستاذ معروف الأرناؤوط هو العضو السابع والعشرين من أعضاء المجمع بحسب ترتيب انتسابه إلى المجمع. ولاشك أن المجمعيين الأوائل وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد كرد علي لم ينتخبوه ويجعلوه زميلاً لهم إلا لما رأوا فيه من ميزات تؤهله لزمالتهم في المجمع. وما أحسب تلك الصفات والميزات إلا مَشابه من صفات الأستاذ كرد علي نفسه. إنها صفات شاب امتلأت نفسه نشاطاً وحيوية وطموحاً، وصفات إنسان من أصل غير عربي، عرّبه الإسلام فكان من أكثر الناس غيرة على اللغة العربية وأدبها، وعلى التاريخ العربي الإسلامي، وصفات عقل عبّ من الثقافة العربية، وعاش حياتها، وأنتجها وشارك فيها، في الصحافة والفنون الأدبية، مقالة وقصة ورواية، ثم انفتح على الثقافة الفرنسية، واطلع على روائع أدبها، وترجم عنها... لقد كانت كل تلك الصفات بعضاً من صفات الأستاذ كرد علي؛ وكانت كلها ماثلة جليّة في حياة الأستاذ الأرناؤوط.

أما الحيوية والنشاط فقد ظهر أثرهما في حياته وما مرّ فيها من أحداث السفر والتنقل والدراسة والكفاح والثورة.. وما خاضه فيها من معارك لسانية

في الصحافة التي أنشأها، وكان في عصره من روّادها ومن أعلامها، وما شارك فيه من معارك خاضها بعد أن كلّفه الوصول إلى مرابعها أربعة أشهر من السير والخوف والجوع حتى وصل إلى تخوم حوران ليلتحق بجنود الفيصل بن الحسين.

وأما غيرته على اللغة العربية وعلى التاريخ العربي الإسلامي فقد تجلت فيما تركه من آثار تشهد له بالسّبق والتقدم أدباً في مقالاته، وتاريخاً في قصصه ورواياته.

وأما ثقافته الفرنسية فقد ظهرت في ميوله إلى الأدب الفرنسي، نثره وشعره، وفي تأثره به في تحليل الشخصيات الأدبية في قصصه ورواياته، كما ظهرت فيما ترجمه عن اللغة الفرنسية.

لقد كان الأستاذ معروف الأرناؤوط ذا ثقافة لغوية وأدبية وتاريخية عربية إسلامية، وذا ثقافة فرنسية.. وقد ظهر أثر ذلك كله فيما تركه من مقالات وقصص وروايات.

لقد أمضى الأستاذ الأرناؤوط حياته كلها عملاً وإنتاجاً؛ فما كان ينجز قصة أو رواية حتى يكتب غيرها، وما كانت تتوقف صحيفة من صحفه أو تتعثر حتى يؤسس أو يصدر أخرى.

ولقد استطاع الدكتور نزار أباظة أن يصوّر حياة الأستاذ معروف الأرناؤوط، الواسعة العريضة، وأن يلقي الضوء على مدى نشاطه الإنساني في الميادين المختلفة من ثقافية وفكرية وأدبية واجتماعية ووطنية.

إن الأستاذ معروف الأرناؤوط واحد من المجمعيين الذين ارتبطوا بمجمع اللغة العربية فكرة وهدفاً، وجعل نشاطه خارج المجمع إنتاجاً وعملاً؛ فهو مجمعي صحفي كاتب أديب، قصصي روائي، مؤرخ.

رحمه الله وأجزل مثوبته، وجزى الدكتور أباظة خير الجزاء عما نشر من سيرة كفاح تصلح قدوة لشباب الجيل في نشاطها الدائم وثقافتها الواسعة المتنوعة، وحبّها للغتها وتاريخها، وإخلاصها لأمتها.

مقدمة

حين كلفني مجمع اللغة العربية بدمشق تأليف كتاب عن الأديب الصحفي معروف الأرناؤوط لقي ذلك هوى في نفسي، ورغبة سعدت بها؛ ذلك لأنني مشغوف منذ أمد بعيد بالكتابة عن أعلام دمشق وعلمائها، وبالحديث عنهم حديث المحب، المعجب بما فعلوا وأنتجوا، فكيف بالكتابة عن كبارهم الذين يحركون المجتمع من حولهم، وتتجه إليهم الأبصار، يقدمون إبداعاتهم وخلاصة ما عندهم مما ينفع الناس ويمكث في الأرض مفروزاً عن الزبد والغثاء والتفاهة التي يتنطع بها كثيرون اليوم ويروجون لها؟

على أن الكتابة عن رجل مثل معروف الأرناؤوط ضرورية، ومهمة أن تخرج في كتاب، لأن الرجل شارك في حركة حقبة صاخبة من تاريخ دمشق، حقبة حسّاسة كان لها مابعدها من أحداث؛ فالرجل كان -كما يشهد عارفوه- صاحب إحدى أهم أربع جرائد في دمشق منذ قيام الدولة العربية بها حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، كان يتأثر بالأحداث آنذاك تأثراً عميقاً من خلال اهتمامه بالعروبة التي جرى بها دمه في أعمق شراييه، مع كونه ألباني الأصل، وهذاأمر يستحق الوقوف عنده ودراسته بعناية.

وانضمام معروف الأرناؤوط إلى عضوية المجمع العلمي العربي يشهد له بأكثر من شهادة؛ الأولى ذوبانه في العروبة كما قلنا، لأن المجمع عربي بما في هذه الكلمة من دقة المعنى، ولأنه مرحّب به من الأعضاء الذين

يرون لمعروف منزلته اللائقة.. ولأنه يُنتظر منه أن يقدّم خدمات في العربية لأبناء أمته.

كان معروف في المجمع العلمي من رجال الطبقة الثانية التي أتت بعد المؤسسين مباشرة، انضم إليه عام ١٩٣٠، أي بعد أحد عشر عاماً من تأسيس هذا الصرح الذي رافق قيام الدولة العربية، فله إذن مكانته وقدره بين الأعضاء الأوائل.

ثم إن الباحث إن قلّب النظر في جوانب شخصية معروف يحكم لها بالريادة في كثير من المجالات؛ فقد كتب في الرواية، يوم كانت الرواية السورية تحبو حبواً، أو يندر وجودها، فسطّر بقلمه ما شهد له بالتفوق جميعُ معاصرية، وأصدر روايات عربية القماش، قومية الهوية، فنية المعالم، إسلامية اللبوس.. وهي إصدارات دفعت -فيما أظن- بالأدب الروائي في سورية نحو الأمام، وخصوصاً الرواية التاريخية.

ولعل الرجل اكتسب براعته في الرواية متأثراً بالأدب الفرنسي الذي رسخ كعبه في الاطلاع العميق عليه، اطلاعاً أدى به إلى ترجمة عدد من القصص والمسرحيات.. وهذا ما سبق إليه معروف في زمن كانت الترجمة إلى العربية قليلة أو نادرة في هذا القطر من أقطار العروبة.

ومن الريادات التي تسجل لمعروف الأرناؤوط تأسيسه لصحيفة دمشقية منذ الأيام الأولى لقيام الدولة العربية، وقيامه عليها القيام اللائق الذي كان سبباً في استمرارها على الأيام، في زمن مضطرب، يشهد صدور صحف كثيرة، تصدر منها أعداد قليلة ثم تذوب في حمأة الأحداث.

والمصادر التي تحدثت عن معروف الأرناؤوط تظهر أنه رجل جَلْد، جادّ، مثابر على العمل، يتوقد حيوية، ولايعرف الراحة.. أو قل لايريح ولايستريح،

فأنهك جسمه العمل الذي استهلكه حتى آخر رمق، إلى أن وافاه أجله في العمر المكتوب.

هذا البحث عن معروف الأرناؤوط في ثلاثة أقسام؛ الأول يلقي الضوء على سيرة حياته، منذ نشأته حتى سقوط القلم من يده. والثاني يبحث في أعماله في الصحافة والأدب. والثالث يرسم صورته الشخصية وفكره.. للوصول بعدئذ إلى النتائج المطلوبة.

أسأل الله عز وجل أن أكون وفقت فيما أرادني عليه مجمع اللغة العربية، في تقديم الصورة الصحيحة.

دمشق، شوال ١٤٣٢ هـ

أيلول ٢٠١١م

نزار أباظه

صفحة بيضاء
رقم 14

توطئة

الأرضية التاريخية والسياسية التي نبت عليها معروف الأرناؤوط

حفل القرن العشرين الذي عاش فيه الأديب الصحفي معروف الأرناؤوط بأحداث سياسية جسيمة في العالم، انعكست على الوطن العربي. أفرزت مواقف وتطورات بالغة الأهمية. وكانت دمشق أحد أكبر المسارح الهامة لتلك الحوادث والتطورات والمواقف.

فقد استيقظ الشعور العربي إزاء الحكم التركي في بلاد الشام عموماً (سورية الكبرى)، وفي دمشق على وجه الخصوص، وذلك رداً على تعسف حزب الاتحاد والترقي الذي سيطر على الحكم. ومن هنا أخذ الشباب العرب يؤسسون الجمعيات السريّة التي كانت تدعو لمحاربة الترك والانفصال عنهم، كالجمعية القحطانية، وجمعية العربية الفتاة، وجمعية العهد العربي، والجمعية العلمية السورية[١]. وكان الاتحاديون أطاحوا بحكم السلطان عبد الحميد

(١) موسوعة السياسة ٢/ ٨٦ وما بعد.

الثاني[١] ودعوا إلى القومية الطورانية[٢] وأقاموا حركة تتريك واسعة واحتقروا العرب. وبالمقابل أخذت تظهر على الساحة الدعوة إلى إقامة حكم لامركزي في الشام يعطي العرب حقوقهم، فلم يقابل ذلك بالموافقة ولا بالرضا[٣].

ومنذ الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م قام حراك سياسي على استحياء، تزعمه المثقفون، وكان الاتحاديون له بالمرصاد، وقد كثر رجال الأمن آنذاك، وكان العرب يسمونهم الجواسيس، وكثرت الوشايات التي أوجدت في البلاد كبتاً للحريات وكمّاً للأفواه.

ورافق ذلك ظهور الجرائد السياسية الجادّة، وكان من أوائلها جريدة المقتبس التي أنشأها محمد كرد علي في ١٧/ ١٢/ ١٩٠٨م، ثم تتالت تلك الجرائد لتعبر عن شعور وواقع أخاف الدولة، فأصدرت في ٢٢/ ٣/ ١٩١٢م قانون المطبوعات، وطفا على السطح سريعاً مقصّ الرقيب وهيمنته وهيبته وتهديده غيرالمباشر. ثم صدر بعد سنتين في عام ١٩١٤ قانون جرائم المطبوعات.. الذي كان يخيف الصحفيين من اسمه؛ لأن الكلمة الحرة تخيف، والجريدة قد تنقلب إلى جريمة[٤].

ولم يمنع كلُّ هذا جماعة المثقفين من متابعة حراكهم السياسي، فعقدوا في باريس عام ١٩١٣م المؤتمر العربي الأول[٥] بغية التعريف بالقضية العربية، ومناقشة حقوق العرب ضمن الدولة العثمانية والمطالبة بالإصلاحات.

(١) الموسوعة العربية ١٢/ ٨٠٠
(٢) المرجع السابق ١٢/ ٦٣٩، موسوعة السياسة ٣/ ٧٨٩
(٣) موسوعة السياسة ٢/ ٥١١
(٤) انظر معجم الجرائد السورية، تطور الصحافة السورية في مئة عام ١٨٦٥-١٩٦٥، الصحافة السورية ورجالها.
(٥) موسوعة السياسة ٦/ ٣٨٦

وإثر ذلك كانت الحوادث تتصاعد باستمرار. فكان الشريف حسين بن علي في مكة يحضّر لثورة عربية ضد الأتراك بالتعاون مع الإنكليز الذين وعدوه أن يكون ملكاً على العرب في سورية الكبرى.. وقد أعلنها من أم القرى عام ١٩١٦ بينما كانت الدول العظمى تخوض الحرب العالمية الأولى التي هزّت العالم ما بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨، ودخلتها الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وإيطاليا ضد إنكلترة وفرنسا[١]..

جرّت هذه الحرب على بلاد الشام ويلات ومصائب.. وخلال ذلك أحكم الاتحاديون قبضتهم على سورية، وجندوا الشباب للحرب، وساقوهم بلا رحمة إلى أقطار بعيدة، مات فيها كثير منهم جوعاً وبرداً وقتلاً. وصادروا مافي المستودعات من مواد تلزمهم للحرب، فلم يبقوا ولم يذروا، وافتقر الناس واحتاجوا. والمشكلة أن جراداً كثيفاً اجتاح البلاد قبل الحرب فقلت الموارد، وما فضل عن الجائحة استولى عليه الاتحاديون.. فنزلت مجاعة مخيفة بالبلاد، ومات ناس كثيرون وخصوصاً في دمشق وبيروت[٢].

وفوق هذا فقد كان أحمد جمال باشا السفاح والي بلاد الشام (سورية الكبرى) يحكم قبضته على الشباب ويراقبهم، ويحسب عليهم تحركاتهم. وقدّم عدداً منهم إلى المحاكمة في بلدة "عاليه" بجبل لبنان، فحكم عليهم بالإعدام الذي نفذه في بيروت عام ١٩١٥ وفي دمشق العام الذي يليه[٣].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٩٠٩

(٢) ذكريات ١/ ٣٨ وما بعد

(٣) نقم السفاح من هؤلاء الشباب اتصالهم بالفرنسيين والإنكليز لتقويض حكم الأتراك في بلاد الشام حين كشف عن وثائق استخرجها من القنصليتين الإنكليزية والفرنسية بدمشق وبيروت. وهذا ما يستفاد من كلام خير الدين الزركلي في ترجمته للعلامة محمد كرد علي، قال: "كاد محمد كرد علي يساق إلى المشنقة مع الأحرار الذين أعدموا في أيار ١٩١٦، لكن أنقذته خلاصة حديث وجدت في القنصلية الفرنسية

=

وما لبث الأتراك أن انسحبوا من دمشق في ١٩١٨/٩/٣٠م إثر هزيمتهم في الحرب، وارتفع العلم العربي فوق بلديتها في اليوم نفسه، ودخل فيصل بن الحسين أميراً على سورية، ومعه الإنكليز بقيادة الجنرال أللنبي الذين خربوا سكة حديد الحجاز في طريقهم إلى العاصمة[١].

مع دخول الأمير فيصل دمشق، ثم المناداة عليه ملكاً لبلاد الشام، قامت الدولة العربية وعاصمتها دمشق.. وقامت معها سلسلة إجراءات، كان لابد لها في مثلها ومثل توجهاتها.

كان أول مهمات الدولة تحويل اللغة الرسمية من التركية إلى العربية، فألفت من أجل ذلك لجنة الترجمة، فلم تحقق شيئاً من الأهداف الموكلة

= بدمشق كتبها أحد موظفي الخارجية الفرنسية قبل الحرب، وكان قد زار صاحب الترجمة كرد علي في بيته، وأراد استغلال نقمته على الاتحاديين ليصرفة إلى موالاة السياسة الفرنسية في الشرق، فخيب كرد علي ظنه، ونصحه بتبديل سياستهم في الجزائر وتونس. ومثلها نشرة رسمية سرية كان قد بعث بها سفير فرنسا في الأستانة إلى قناصل دولته في الديار الشامية يحذرهم بها من كرد علي ويقول: إنه لايسير إلا مع الأتراك، وأوراق أخرى من هذا النوع، أظهرها تفتيش القنصليات في أوائل الحرب. وعندها استدعى أحمد جمال باشا (القائد الطاغية التركي) العلامة كرد علي، وأعلمه بها، وأنذره إن عاد إلى المعارضة ليقتلنه هو بيده (الأعلام ٦/ ٢٠٣). أقول: وأخبرني والدي الدكتور محمد أباظه رحمه الله (-١٩٩٢م) وقد عاش تلك الأحداث في دمشق وبيروت أن الذي كشف الوثائق في بعض القنصليات موظف أخرس، دلّ عليها الدولة، وكانت مخبأة في جدار، وفيها أسماء الأحرار الذين حكم عليهم السفاح بالإعدام. وما كان للسفاح بالطبع أن يسكت عن اتصالهم بعدوه الذي يحاربه مع ألمانيا، فوجه إليهم تهمة الخيانة العظمى.

(١) قيل إن أللنبي كان يغري البدو بتخريب السكة الحديدية التي مدها المسلمون من أموالهم، فبعد أن نسفها في بعض المناطق، وعد كل من يحضر له قضيباً منها بليرة ذهبية، وهو مبلغ مجزٍ، إذ كانت الليرة الواحدة تكفي مصروف أسرة من ستة أشخاص أو سبعة شهراً كاملاً آنذاك كما يذكر كبار السن. انظر موسوعة السياسة ١/ ٢٦٣.

إليها، فأنشأت لهذه المهمة الجليلة المجمع العلمي العربي الذي قام بوظيفته خير قيام، واستطاع في مدة وجيزة أن يمدّ الدولة الناشئة بما يلزمها من مصطلحات ضرورية، وأن يراقب إعلام الدولة وسجلاتها[١].

وفي هذه الحقبة عاش السوريون حياة استقلال وحرية تامة، فتأسست أحزاب، أولها حزب الاستقلال العربي، وظهر مزيد من الجرائد السياسية، وبدا وجه أغرّ للدولة التي كان السوريون يحلمون بها. والتفوا حول ملكهم وحكومتهم.

لكن الاستقرار لم يَطُل، فقد أعد المنتصرون في الحرب، الإنكليزُ والفرنسيون اتفاقية فيما بينهم لتقاسم التركة التركية في معاهدة سايكس-بيكو[٢]، فكانت العراق وفلسطين والأردن من حصة الإنكليز، وتخصص الفرنسيون بسورية اليوم ولبنان.

وعلى هذا سارع الفرنسيون فدخلوا دمشق في ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠ بعد معركة ميسلون[٣]، وسرعان ما أحكموا قبضتهم على البلاد في ذهول من المواطنين الذين أسقط في أيديهم، ولم يصدقوا ما صنع بهم الظافرون في الحرب، وقد

(١) انظر كتاب "حاضر اللغة العربية في بلاد الشام" لسعيد الأفغاني رحمه الله، وذكر فيه كيف تحمس السوريون للعربية، وما صنعوا من أجلها، بشيء يشبه المعجزة بعد أن كانت التركية هي المسيطرة. وانظر كتاب مجمع اللغة العربية للدكتور مازن المبارك.

(٢) انظر التفاصيل في موسوعة السياسة ٣/ ١٢٠.

(٣) تقع ميسلون غرب دمشق على بعد ٢٠ كيلومتراً منها، قائد المعركة وبطلها وزير الدفاع آنذاك يوسف العظمة. ولم تستمر أكثر من سويعات، قليلة قتل على إثرها هذا القائد وتشتت قواته. لكن المعركة على ضآلتها وعدم تكافؤ المتحاربين من الطرفين بقيت رمزاً للصمود، ورسالة كبرى للفرنسيين. انظر المرجع السابق ٧/ ٤٥٩، وانظر كتاب "يوم ميسلون والحركة القومية في سورية" لساطع الحصري، والموسوعة العربية ١٣/ ٢٩٢.

كانوا يمنونهم الأماني من قبل، وكانوا الحلفاءَ الذين يحاربون الأتراك المستبدين فإذا بهم كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وسريعاً ما أحدث المحتلون إجراءات لهدم البلاد وتدمير بنيتها الداخلية وتخريب لحمة شعبها وتماسك اقتصادها، فقسموا سورية الصغرى إلى أربع مناطق سموها دولاً؛ دولة دمشق، دولة حلب، دولة العلويين، دولة الدروز، وفصلوا البقاع وبعلبك وراشيا والجنوب اللبناني عن سورية، وسموا ذلك دولة لبنان الكبير، ومنعوا التعامل بالنقدين الفضي والذهبي، وأحلّوا بدلاً منهما العملة الورقية التي بدأت ذات قيمة، ثم أخذت مع الأيام تتدهور بالقياس إلى الذهب(١)، وحكموا البلاد بالحديد والنار(٢).

ومع الأيام استاء السوريون من سيطرة الاحتلال، واحتقنت الأجواء، حتى اشتعلت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، وقامت حوادثها في أنحاء البلاد، واستمرت سنتين داميتين، ولم تتوقف حتى عام ١٩٢٧ من خلال معارك ضارية، ونكبت دمشق فيها فقصفها الفرنسيون بالمدافع، مما أضر بالبلاد والعباد من جميع النواحي(٣).

وبالمقابل فقد قام خلال الانتداب صراعات سياسية من أجل إنهاء

(١) انظر كتاب "قصة الليرة السورية" لعبد الرحمن عطار.

(٢) وإن كانت للفرنسيين بعض إصلاحات داخلية، منها إحداث نظام الشهادة الثانوية (البكالوريا) على غرار الأسلوب الفرنسي. انظر كتاب "التعليم في سورية" لخالد قوطرش، ترجمة نزار أباظه، نشر دار الفكر بدمشق عام ٢٠٠٠. ومن إصلاحاتهم نظام التسجيل العقاري (الطابو) ومسح الأراضي (الكدسترو) وغير ذلك. لكن الوطنيين الأحرار رفضوهم من أجل استقلال البلاد، وقدموا التضحيات الجسيمة في سبيل الحرية التي هي أغلى ما يملك الإنسان.

(٣) انظر موسوعة السياسة ١/ ٨٥٠.

الاحتلال والحصول على الاستقلال، راوغ معها الفرنسيون في تعاملهم مع السوريين، وكانوا يمنونهم الأماني ويعدونهم أحياناً، ويوعدونهم أحياناً أخرى بالنظر للظروف الدولية والإقليمية.. بل إنهم سمحوا بانتخاب رئيس للجمهورية السورية فكان أول من تولى هذا المنصب بإشرافهم محمد علي العابد عام **١٩٣٢م**[١]، ولقد صاحب ذلك اضطرابات سياسية لم تهدأ. وهذا ما روّج للجرائد المختلفة التي كانت لها مشاربها واتجاهاتها، تصانع مرة تياراً أو حزباً، وتستقل مرة أخرى، ويشتريها السياسيون فيدفعون لها الأموال لمآربهم وتطلعاتهم..[٢]

وأفرزت الحوادث تيارين مختلفين في المواطنين، منهم من شايع الفرنسيين ومال إليهم ومشى في ركابهم، ووقف في الصف الآخر الوطنيون الذين لم يملّوا من المناداة بالاستقلال. وكانت جماعة بين بين.. حتى ظهرت في سورية تشكليلة سياسية وأحزاب متعددة وأهواء ومشارب يتّهم بعضها بعضاً.

وكانت الأحداث تتصاعد المرة تلو الأخرى، حتى دعا الوطنيون عام **١٩٣٥م** إلى إضراب عام بدمشق استمر مدة طويلة، عرف بالإضراب الستيني، لم تفتح فيها الأسواق وقامت مظاهرات انصاعت فيها سلطة الانتداب لمطالب الوطنيين، وجرى في نهايته انتخابات عامة، فازت فيها الكتلة الوطنية[٣]. لكن البرلمان الفرنسي لم يصادق عليها.

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٣٠٤.

(٢) قال علي الطنطاوي: كان الرؤساء يدعون أصحاب الصحف، فيوزعون عليهم مبالغ من المال ليكتبوا لهم ما يريدون أو يريد أسيادهم المنتدبون، فاستقل معروف الأرناؤوط مرة المبلغ، وجعل يساوم، يطلب أكثر منه، فقال له الرئيس: ماهذا؟ هل هي قضية بيع وشراء؟ قال: نعم، إننا نبيعك ضمائرنا. ذكريات ٢/ ١٢ وفي هذا نظر.

(٣) الكتلة الوطنية أحد الأحزاب السياسية، بدأت بياناتها تظهر منذ عام **١٩٣١م** بتوقيع هاشم الأتاسي. وكانت تمثل "الوطنيين" مقابل اتجاه "المتعاونين" مع فرنسا. ولم =

إلا أن مجريات الأحداث أدت إلى موافقة فرنسا على عقد معاهدة استقلال سورية في ١/ ٣/ ١٩٣٦م، على أن تنفذ خلال ثلاث سنوات.. لكن الذي نُفذ في تلك المدة أي عام ١٩٣٩م إلحاق لواء الإسكندرون شمال غرب سورية بتركيا لأغراض سياسية، في ظروف اشتعال الحرب العالمية الثانية.. في حين حصلت البلاد على استقلالها رسمياً في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١م.

ولم يكف الفرنسيون عن استخدام العنف في كل مرة يتضايقون فيها. فما أن وضعت الحرب أوزارها أو كادت حتى قصفوا دمشق بالقنابل في ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٥م، فضربوا حي الكلاسة شمال الجامع الأموي، واعتدوا بالنيران على المجلس النيابي، وقتلوا رجال حاميته الذين لم ينج منهم إلا شرطي واحد، شهد على جريمتهم.

ومضت الحوادث المختلفة إلى أن رفع الفرنسيون أيديهم نهائياً، عن سورية وجلوا عنها تماماً في ١٦ نيسان (أبريل) من عام ١٩٤٦م.

وبزغت شمس اليوم التالي على سورية المحررة، فاتخذته عيداً وطنياً لها، فكان لها دستورها ومجلسها النيابي وممارساتها الديمقراطية، وأحزابها المتعددة..

على أن مشكلة كان تقوم على حدودها الجنوبية حيث فلسطين التي مهّد الانتداب الإنكليزي فيها لتسليم اليهود، الذين أعلنوا عن دولتهم في ١٥ أيار

= يعلن هذا الحزب عن قانونه الأساسي ونظامه الداخلي إلا في مؤتمر حمص في ٤/ ١١/ ١٩٣٣م، وقد ضمت الكتلة الوطنية بين صفوفها شخصيات الأحزاب القديمة كحزب الاستقلال وحزب الشعب والحزب الوطني الديمقراطي. وبعد فشل الكتلة في الحكم عام ١٩٣٧م عادت إليه مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية بزعامة شكري القوتلي، ثم ما لبثت أن انشقت إلى حزبين واتجاهين وولاءين.. وتلاشت نهائياً أمام الانقلابات العسكرية منذ الخمسينات. (موسوعة السياسة ٥/ ١٠٠).

(مايو) عام ١٩٤٨م، يوم حصلت فيها النكبة ونزح نحو مليون لاجئ منها إلى ما حولها من البلدان العربية.. وكان لسورية دورها الأساسي ضد الاحتلال الصهيوني على مدى سنوات طويلة. وانتهى القرن العشرون والصراع معه لم ينته..

في ذلك العام ١٩٤٨م، عام النكبة قضى معروف الأرناؤوط.. أسلم روحه بعدما خاض حياة صاخبة.. ولو امتد به العمر قليلاً لكانت له مواقف أخرى.

تلك هي الحوادث التي عاشها معروف يوماً بعد يوم، ومن المؤكد أنه تأثر بها، وكتب عنها الكثير، وكانت له مواقف منها وفيها.. ولايمكن إلا أن نقول: إنه هو بالتأكيد نتاج هذه الحوادث؛ لأن الإنسان عموماً ابن بيئته، لايستطيع أن ينسلخ عن تياراتها بكل مافي هذه التيارات من تداعيات شتى.

ولن نبعد في التاريخ المعاصر لدمشق وماحولها أكثر من ذلك، لأن هذا البعد لايدخل في موضوعنا الذي نحن بسببه وهو دراسة الرجل. ونقف عند هذا الحد مما قد يكشف المخبوء، ويعطي الهوامش الضرورية في دراستنا هذه.

فمن هو معروف الأرناؤوط؟

وماذا صنع؟

وكيف كانت حياته الصحفية والأدبية؟

وماذا كانت حياته في المجمع العلمي العربي؟

وأي رجل هو؟

صفحة بيضاء
رقم 24

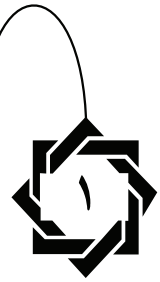

القسم
الأول

معروف الأرناؤوط
سيرة حياة

صفحة بيضاء
رقم 26

النشأة الأولى

الأسرة

ولد معروف بن أحمد بن حسن الأرناؤوط[١] في بيروت عام ١٣١٠ هـ، الموافق لعام ١٨٩٢م، لأسرة تعود أصولها إلى مدينة "آلونية" في ألبانيا[٢].

قدم جدُّه حسن آغا المولى[٣] يوسف إليها في منتصف القرن التاسع عشر مديراً عاماً لحفظ الأمن والنظام فيها، موفداً من طرف الدولة العثمانية التي عينته في هذا المنصب لتبعده عن الحركات المناوئة بعد أن استرابت في اتصالاته، فكان ذلك شبه نفي له[٤].

---

(١) الأرناؤوط اسم لشعب من الجنس الآري يعرف باسم الألبان، يسكن في البلاد الواقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأدرياتيكي. وأصل لفظة أرناؤوط يرجع إلى بلاد "آربري" التي تمتد على الشاطئ من "كورفو" إلى "آلونية" أو "آربونة"، وقد حرّفه الترك إلى أرنؤوط و أرنؤود وأرناؤوط. (المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، لحسان حلاق وعباس صباغ، ط بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩). وقيل في التسمية أقوال أخرى.

(٢) لم تهاجر أسرة معروف الأرناؤوط إلى بيروت كما هو حال الألبانيين الذين قدموا دمشق بدءاً بعام ١٩١٤م فراراً من اضطهاد المسلمين، وقد توطنوها، وظهر منهم مشاهير.

(٣) المولى تعني الشيخ من غير العرب.

(٤) معروف الأرناؤوط ١٢.

ولما نجح في عمله هذا اختارته الحكومة مرافقاً عسكرياً للمتصرف[١] خليل باشا، فقام بهذه المهمة إضافة لعمله[٢].

طاب المقام للشاب حسن في لبنان وأحبها، فاطمأنت نفسه إليها، وخالط أهلها، وأحبوه على مايبدو، وعُرف بينهم باسم الأرناؤوط. ثم إنه أصهر إلى أسرة "ساسين" البيروتية، فتزوج امرأة أنجبت له ولدين أحمدهما أحمد والد معروف[٣].

ولانقع على أخبار أحمد هذا سوى أنه كان يعمل في البر والبحر، وأنه تزوج سيدة دمشقية فاضلة صالحة تواظب على العبادة، وتعنى بالقرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، وأنها أنجبت له بنين وبنات، وكان لها الأثر العظيم في نفوس أولادها، وخاصة في نفس ابنها معروف، كما سنذكر ذلك فيما بعد[٤].

الدراسة والمكونات الثقافية

كان المكتب (الكتّاب)[٥] أول مدرسة تعلم فيها معروف خارج بيته، وعلى

(١) المتصرف هو حاكم المتصرفية التي كانت تعني نوعاً من النظام الإداري والسياسي الذي طبق على جبل لبنان منذ عام ١٨٦١م حتى عام ١٩١٥م على أثر إخفاق صيغة القائمقام التي أدت عام ١٨٦٠م إلى الحرب الأهلية مابين الدروز والموارنة، اشتهرت باسم (طوشة النصارى)، وتدخلت على إثرها الدول الأوروبية الخمس الكبرى، فمنح جبل لبنان استقلالاً عن الدولة العثمانية على نحو خاص، وسمي متصرفية جبل لبنان (موسوعة السياسة ٦/ ٢٤).

(٢) معروف الأرناؤوط ١٢.

(٣) قال سامي الدهان: "بنى على واحدة من أسرة الخوري"، مجلة المجمع، مج ٢٩ ص، ٢٨١. وقال عبد اللطيف الأرناؤوط: "تزوج سيدة لبنانية هي مريم ابنة يوسف ساسين أرملة الشيخ مصطفى الرفاعي". معروف الأرناؤوط ١٢.

(٤) معروف الأرناؤوط ١٢، مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨١.

(٥) الكتّاب على غير القياس، وهو الشائع في تسمية مدارس الأطفال الأولى التي =

الطريقة القديمة المعروفة فيه، فكان يتردد على مكتب الشيخ حسن الحبال في بيروت، الذي عرف بشدّة تدينه وميوله العثمانية. فقرأ عنده معروف نصّ القرآن الكريم وحفظ بعضه، كما استظهر فيه شيئاً من سير الفرسان[١].

وحينما نشأ معروف بعد ذلك كانت بيروت تموج بالطلاب، وتضطرب باللغات، وتهتز بالمنابر، قامت فيها آنئذ مدارس ومعاهد وطنية وأجنبية متنوعة وجامعات، يأتي إليها الطلاب من مختلف الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها، يتنافسون فيها بالعلم، ويتسابقون إلى الثقافة[٢].

كان معروف حين ذاك بعدما تخرج في المكتب طالباً في الكلية الإسلامية للشيخ أحمد عباس (ت ١٩٢٧م) الملقب بأبي الفتيان الأحرار، الذي كان يبث من خلال توجيهه لطلابه روح اليقظة الحديثة[٣] ويدعو للتمسك بروح الإسلام، ويُعنى باللغة العربية وشعرها، كما يُعنى بالخطابة[٤].. فظهر ذلك واضحاً في شخصية معروف.

تعلم معروف في مدرسته تلك علوم العربية وآدابها فأتقنها وتشبع بأساليبها، وأخذ العلوم الإسلامية إلى جانب التاريخ العربي والإسلامي.. وفيها أتقن اللغة التركية التي كان تعلُّمُها فرضاً واجباً في المدارس آنذاك، وأضاف إليها اطلاعه على الأدب التركي[٥].

= يتعلمون فيها القرآن، ويشدون شيئاً من العربية على الطريقة القديمة. والجمع كتاتيب.

(١) معروف الأرناؤوط ١٣.

(٢) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨١.

(٣) قال الزركلي: وتخرج بها جمهور ممن حملوا فكرة الاستقلال العربي في عهد الترك، وأقفلت المدرسة خلال الحرب العالمية الأولى على الرغم من تغيير اسمها، وجعلها العثمانية بدلاً من الإسلامية، ونفي مؤسسها إلى إستانبول (الأعلام ١/ ١٤٢).

(٤) مجلة المجمع مج ٢٩، ص ٢٨١.

(٥) ذكريات ٢/ ٨. وتعرف فيما بعد على الشاعر التركي "عبد الحق حامد". معروف الأرناؤوط ٦، ولعل هذا عمّق صلته بالشعر التركي.

ولقد أشار معروف إلى أنه لم يتعلم في مدرسته العلوم وحدها، وإنما عرف فيها قيم الحياة الكريمة التي تصنع الرجال.. وهذا ما ذكره في قوله: "إلى الأم الجامعة بين الإخاء والمساواة والحرية، إلى المدرسة العثمانية، مهد المجد والعظمة"[١].

وتأثر هناك بكتاب "أم القرى" لعبد الرحمن الكواكبي، وكان الطلاب يقرؤونه ضمن مواد الدراسة، مما عزز عنده الاتجاه العربي الإسلامي، ونمّاه في شخصه[٢].

وكانت بيروت معروف الأرناؤوط الشاب تموج -كما هو معلوم- بأدب كتابها، وقصائد شعرائها، ومنابر خطبائها، وعلوم علمائها، وتشتعل ليلها ونهارها بالجدل المتصل بقضايا اللغة المختلفة، وتشتغل بجديد مطبوعاتها الصادرة عن مطابعها الفتية الحية باتجاهاتها المعروفة[٣]، تسمع لشكيب أرسلان، وخليل مطران، وناصيف اليازجي، وآل البستاني بما يقدمون من شعر ونثر وعربية[٤].

وشاب كمعروف كان لابد له أن يتأثر بهذه الأجواء تأثراً بالغاً، وأن ينخرط فيها انخراط حماس وانفعال، يشهد بذلك مشاركته وهو في السادسة عشرة من عمره بقصيدة أدهشت الناس، ألقاها بمناسبة تكريم بيروت للشاعر معروف الرصافي حينما زارها[٥]. وإذن فقد تخرج بأدب الحركة الثقافية

(١) كلمة د. سامي الدهان (خ).
(٢) معروف الأرناؤوط ١٣.
(٣) اشتهرت في بيروت آنذاك عدة مطابع، منها مطبعة المدرسة الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم)، والمطبعة اليسوعية، ومطبعة الكلية العثمانية وغيرها.. وهذه كلها مطابع مشهورة آنذاك.
(٤) مجلة المجمع، مج ٩، ص ٢٨٢.
(٥) المرجع السابق، معروف الأرناؤوط ١٣.

الحاضرة حوله، زرعت فيه أفكاراً إلى جانب ما تلقاه في المدرسة، ووفرت له أسلوباً اعتصره لنفسه من مجمل أساليب العصر، وجدد فيه كما سنرى ذلك فيما بعد. وكان لابد للموهبة التي تتمشى في دماء الموهوبين أن تعمل عملها، وأن تخرج للناس جديداً.

ولقد شغف الفتى باللغة الفرنسية، وفتن بها بعد أن تأثر بأستاذه فيها جوزيف حرفوش الذي لم يكن يُعلّمه تلك اللغة فحسب، وإنما يلقن تلاميذه تاريخ الحركات القومية في العالم، ويصف لهم مدى تأثيرها في مسيرة الشعوب ومصيرها. كما يلقنهم تاريخ القوميات في الغرب، مما انسحب على إيمانهم بحق العرب الشرعي في الاستقلال والحرية[١]. وحين قرأ معروف شعر الفرنسيين وأدبهم أعجبه شعر لامارتين، وتأثر بالشاعر لاسيلي ونزعته الرومانسية[٢].

وإذن فالرجل نتاج أكثر من ثقافة، وليس من يمتح من معين واحد، كمن يغرف من أكثر من ينبوع.

ومن العوامل التي كونت ثقافة معروف أمه؛ كانت -كما قال- تجلس إليه جلسات طويلة تقص عليه أروع ما عرفته من سيرة النبي ﷺ[٣]. وهي التي زودته -حين ساقوه إلى اسطنبول جندياً في الحرب العالمية الأولى- بكتاب الله وسيرة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأوصته بالرجوع إليهما في محنته وكوارثه[٤]. ويكفي منها أنها حببت إليه القرآن وهدي السنة النبوية، وفتحت

(١) معروف الأرناؤوط ١٣. وفيه "كان من زملائه في تلك المدرسة عمر فاخوري (-١٩٤٦م) وعمر حمد الذي أعدمه جمال باشا السفاح مع أحرار أيار عام ١٩١٦م.
(٢) معروف الأرناؤوط ٦٠.
(٣) كلمة د. سامي الدهان (خ).
(٤) المرجع السابق.

عينيه عليهما وعلى ما يجري معهما من العربية والتاريخ. وهذا ما كان له حضوره الفاعل في نتاجه.

ولقد اعترف معروف بفضل أمه في تكوينه العلمي والفني حين قال: "ورحم الله أمي، فلقد حسرت عن بصري، وأرتني دنيا محمد رسول الله ودنيا صحبه.. ووهبت لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه"(١).

وقال عنها: "كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء، لتقصّ عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش ﷺ وصحبه"(٢).

على أن هذه الثقافة التي تزود بها معروف تلبسته سريعاً، فعاش بها، وزخرت نفسه تضطرب بمعطياتها؛ فإذا به يكتب المقالات ويترجم عن الفرنسية(٣) وينظم القصائد وهو مازال في ريعان الشباب الأول. ولقي في ذلك العمر من ينشر له نتاجه في الصحف.

ولعل من المؤثرات في ثقافة معروف رحلاته وأسفاره، سواء في بيروت أو دمشق أو العراق أو مصر أو بادية الشام(٤)، ولايخفى أثر ذلك في نفس كل مرتحل ومسافر حين يضرب في آفاق الأرض، أيا كانت تلكم الآفاق، فيجد أشياء جديدة تشدّه، تستخرج فضوله، وتخرجه عن المألوف، وتضع بين عينيه رؤى، ما كانت تتاح له في بلده، فيتزود بخبرة مختلفة وتجارب رائعة، فإذا أضاف إليها نفساً حسّاسة شاعرة كنفس معروف اكتسب منها مالم يكتسبه من مدرسة ولا من أستاذ ولا حتى من مطالعات فردية.

---

(١) معروف الأرناؤوط ١٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مكنه تفوقه في الفرنسية أن يترجم لمشاهير الأدباء الفرنسيين من أمثال فرانسوا كوبيه، وتيوفيل غوتييه، وألكسندر دوماس، وألفريد دو موسيه، وميشيل زيفاكو وغيرها.

(٤) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨٥.

ولانشك أنّ من مكونات معروف العلمية والثقافية اطلاعاته وقراءاته الواسعة، قراءة النهم الذي لايشبع، ينكب على كتب العربية تاريخاً وشعراً ونثراً، ويبحر في روايات الفرنسية ومسرحياتها وروائع أدبائها من أمثال دايسي واسكندر دوماس وألفريد دو موسيه و زيفاكو، يتأثر بأساليب أولئك وهؤلاء وأدبهم الغنائي وصورهم الفنية الرائعة وتعابيرهم المبتكرة وأدائهم الإبداعي.

هذه إذن مكونات معروف الثقافية التي انصبت في نفس الرجل فهيأته الأقدار لمستقبل مفتوح.

الحراك

المرحلة الثانية من حياة معروف الأرناؤوط كانت مرحلة صاخبة جداً، خطت به نحو مستقبل آخر مفتوح.. ولئن كانت بيروت منبته ونشأته الأولى لقد عانى بعدها ظروفاً مضطربة جداً، وأتت عليه أيام عسيرة مع تقلبات الأحداث التي طلعت بها بدايات القرن العشرين، وما جرّت من نتائج ومفاجآت.

إلى اسطنبول

نبت معروف الأرناؤوط إذن في أحضان بيروت، ونشأ في ربوع لبنان، وكان ينتقل بينها وبين دمشق وغيرها في زمن غير مستقر مع مطالع القرن العشرين، حين كان العالم يتهيأ لأحداث جليلة..

وبينما هو في العشرينات من عمره هزت الحرب العالمية الأولى أركان الشرق والغرب معاً، فسيق معروف جندياً في الجيش العثماني مع من سيق من الشباب ليؤدي خدمته العسكرية في مدينة اسطنبول برتبة معاون ضابط[1]. وقد أشرتُ إلى تلك المرحلة عند الحديث عن الدراسة والمكونات الثقافية.

---

(١) مجلة المجمع، مج٢٩، ص٢٨٣.

كان يدرك بالطبع خطورة هذه الحرب، ويشفق من مآسيها التي ستتمخض عنها، فيقول: "في صيف سنة ست عشرة وتسع مئة وألف ألقت بي حظوظي إلى مغاني اسطنبول، وأرادني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت قاصيه ودانيه بما لا يرتضيه العمر الطري الجني.."[١].

ويتابع فيقول: "ولشد ما أخافتني هذه الحرب الضروس، وأرعشتني أن تسيل الدماء في بطاح هذه الدنيا، وأن يقتتل الناس، وتَعلَق صورهم الشاحبة بخواطري، وتتلبس مشاعري، فلا أطوي ليلة من لياليّ إلا رأيتني أتحسس هذا الروع الذي يحسه العالم، وإلا سكنت نفسي إلى التهاويل، فأذرع غرفتي جيئة وذهوباً"[٢].

وكان معروف إلى جانب ذلك ومع انشغاله بهموم الحرب، يحمل في جوانحه قلباً يمتلئ بجوى نار تتلظى بأوارالعروبة، ويضم في رأسه عقلاً ينتشي بحضارة الإسلام التي تزود بها من مدرسته ومن أمه ومن ثقافته الخاصة. فإذا به تنفتح نفسه على عظمة التاريخ في خضم تلك الحرب فيقول: "إني لأذكر ليلة من الليالي الصيفية وقد خرجت من منزلي إلى البحر، فاحتواني الشاطئ، وجلست على الصخر، فإذا مؤذن القرية يدعو الناس إلى الصلاة، وإذا الناس يتنافسون في اللحاق بالمسجد، وإذا الفضاء الأفيح تسيل على حواشيه أسماء رقيقة، وإذا اسم محمد بن عبد الله، واسم أبي بكر الصديق، واسم عمر بن الخطاب، واسم علي بن أبي طالب.. هذه الأسماء تنسجم جميعاً في صوت المؤذن، فيسمعها البحر، ويعيها الشاطئ، ويهتز لها الأفق، فرقّت نفسي لهذا الإسلام الذي ولد في الصحارى، ثم لم يلبث أن سكن إلى الينابيع والسهول والمدن، وأحسست كأني مرتبط بدنيا هؤلاء الذين خلعوا رواء حياتهم على العالم"[٣].

(١) مجلة المجمع، مج٢٩، ص٢٨٤.
(٢) عن كلمة د. سامي الدهان (خ).
(٣) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص٢٨٤.

ومن جميل إحساسه بالتاريخ قوله وهو في جو الحرب باسطنبول: "إن هذه الليلة الساجية قد ابتعثتني على كتابة أول اشعاري في الإسلام؛ ففي اسطنبول على الشواطئ الهادرة التي لم تشقّها سفن أمير المؤمنين معاوية، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد، فجازتها جيوش محمد الفاتح، ارتجّ الإسلام في قلبي، وولّد أنشودة اسمها "سيد قريش". وإنها لحادثة رائعة أتمها الله على يدي، في زمن مسح فيه انتصارُ القوي الحدودَ الجغرافية، واستعبد الأمم الصغيرة، وطوى حرياتها، وفصل بين غابرها وحاضرها"[١].

ولم يمنعه ماهو فيه من هموم وغربة وبعد عن أمه وأبيه في ظروف مؤسية أن يتحسس الجمال على ضفاف البوسفور، وأن يتمتع بسحر الطبيعة وجمالها، وأن ينتشي بروعة البحر الذي يعانق اليابسة، وأن يتصل بأدباء عاصمة الخلافة.. وأن يتأثر بكل أولئك[٢].

إذن كان لهذا الحراك إلى اسطنبول أثره في حراك آخر انبعثت من قلبه عبر الزمن، زمن الحضارة العربية الإسلامية التي انتشرت في العالم، ونشرت معها الخير العميم.. يقارن ذلك بسيطرة المستعمر الحديث القوي على البلدان الضعيفة.

ولم يكن حراكه كذلك حركة في المكان، وإنما زعزعة زلزلت نفسه، فمخضت من دمائه أزكاها، ومن عقله أدق إحساساته كما يمخض اللبن الحليب فيعطيك زبدة طيبة سائغة.

وبقي هذا الجندي الأديب المرهف الأحاسيس يترقب في جو الحرب مشفقاً، ينتظر النتائج، وهو يتسمّع للأنباء التي ينتظر أن تسفر عنها الآفاق السياسية للنزاعات العالمية، فإذا بالأخبار تصله عن ثورة الشريف حسين بن

(١) عن كلمة د. سامي الدهان (خ)، مجلة المجمع، مج٢٩، ص٢٨٥.
(٢) معروف الأرناؤوط ١٤.

علي التي أطلقها في مكة عام ١٩١٦م.. وإذا بالحوادث والمعارك تؤذن بسقوط الأتراك الاتحاديين وأفول دولتهم في بلاد العرب، فالتهب الحماس في صدره، واستيقظت فيه روح التمرد المتهيأة، فلم ينتظر حتى يشهد خسارة الإمبراطورية في الحرب، فانسرب هارباً من صفوف الجيش التركي، ليلتحق برجال الثورة العربية[١].

إلى صفوف الثورة

مضى معروف خارجاً من اسطنبول عام ١٩١٦م، فارّاً من جيش دولة تتردى بعد ضعف جعل يأكلها شيئاً فشيئاً، ولكنه كان في فراره معرضاً للموت في ظل غياب الأمن وقيام الاضطرابات، فتاه في هروبه بين الفلوات سيراً على الأقدام قاصداً تخوم لبنان، حتى وصل بلدة زحلة بعد أربعة أشهر، هدّه فيها الجوع والعطش وداخله الخوف. وكان خلال ذلك يتوارى في قرى الجبل حتى تسكن نفسه وتطمئن، فيواصل طريقه.. وإذ ينجو من الآفات يصل إليه نبأ موت أبيه، فيجتمع عليه تعب الجسم وإرهاق الفكر وحزن النفس[٢].

ويسأل عن أخبار الثورة العربية، فيعرف أنها وصلت إلى أطراف الشام، فيغذ السير إليها، لايلوي على شيء، حتى يصل إلى حوران، ومنها يوافي جيش الشريف في العقبة، فيلتحق به، وينخرط مع الجنود بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، وهو على أشد ما يكون حماساً واندفاعاً..

وتتقلب به الشهور معهم، ويسير بسيرهم.. حتى إذا كان خريف عام ١٩١٨م -أي بعد عامين من التحاقه بالثورة- يدخل مع الجيش العربي مدينة دمشق[٣].

---

(١) معروف الأرناؤوط ١٥.
(٢) معروف الأرناؤوط ١٥.
(٣) المرجع السابق.

الاستقرار

في دمشق

دخل معروف دمشق وهي في أوج نشوتها بقيام مملكة عربية على رأسها شاب من محتد بيت النبوة، تجري في دمائه روح العروبة وعبق التاريخ.. أو هكذا خيّل إليه على الأقل. "وأعلن أن البيت الهاشمي امتداد لقريش، وأن ربوع دمشق ظلٌ للغساسنة والأمويين، فآثر أن يعيش في ظل الأمجاد، وأن يريق قلمه في مفاخر الأجداد، فيسكب روحه في حب دمشق"[(١)].

وقال يخاطب هذه المدينة التي ارتاح إليها ثم استقر بها: "أي دمشق، لقد قرأت تاريخك الماضي، وأصغيت وأنا أتحدث إلى حماته ورعاته، إلى خفق ألويتك، واهتزاز راياتك. ثم رأيتك تجتازين البحار والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس، قوية كالخلود، ثم رأيتك تتخلين عن البحار والخلجان والمدن لتعيشي في جنانك.. فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك، وغير جراحاتك، فأنت على ما بك من الألم أشد فتوناً من كل مدن العالم؛ وذلك لأن روحك لم تهرم، فهي لاتزال فتية، كأنها ولدت ليلة أمس"[(٢)].

---

(١) كلمة د. سامي الدهان (خ).

(٢) المرجع السابق.

وشهد معروف في دمشق ارتفاع العلم العربي فوق سطح البلدية وانعقاد المؤتمر السوري.. فاستراحت نفسه بعد طول عناء وقلق، وقرر قراراً نهائياً أن يظل في دمشق، يتخدها سكناً، موالياً للحكومة العربية فيها.. يخدمها حتى آخر عمره، ويتكسب من مداد قلمه. وفيها تفيض روحه إلى بارئها.

وإذ تفتحت آمال معروف العربية، وارتاحت نفسه بعد طول عناء، وقدّم ولاءه لدولة الملك فيصل، وتصور مستقبلاً واعداً يعيد للعرب عزهم ومجدهم وسؤددهم.. إذا بتلك الآمال تذوي وشيكاً، فداخلت نفسَه غماءُ مؤسية، فما تلبث الدولة الفتية أن تزول بعد نحو عامين اثنين، ويخيب أمل معروف في نهضة عربية إسلامية.. ومثلما رأى سقوط الدولة العثمانية المتراخية الأطراف شهد انطفاء شموع الدولة العربية في مهدها، لتحل محلها دولة الأغراب المحلتين القادمين من فرنسا المغرورة بانتصارها في حرب عالمية ضروس.

وحار معروف ما يفعل، فاستقر رأيه أن يقف على الحياد إزاء سياسة الانتداب، إلا أن حسّه الديني ما لبث أن توجه نحو تركيا، فسخّر قلمه لمدح الثورة الكمالية والتنويه بمنجزاتها، واتخذ من غاياتها وأسبابها ما يؤلف به قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها[١] وإن بقي موالياً للبيت الهاشمي وللملك فيصل بن الحسين[٢].

استقر معروف إذن في دمشق بلد أمه، أمه التي أحبها من أعماق قلبه، ثم أحب بلدها بعدئذ. سكن دمشق لشوقه فيها إلى عبق التاريخ، تاريخ العرب الغساسنة، وتاريخ الفتوح، وتاريخ الأمويين؛ ذلك التاريخ الذي جرى في دمه، وسال على أسلات أقلامه.

(١) معروف الأرناؤوط ١٦.
(٢) تطور الصحافة ٢/ ٥١.

وحين استقر بها واختلط بأهلها وامتزج بهم كان لابد له أن يعمل. كان يمكن أن يكون موظفاً يكفيه راتبه ليعيش كريماً.. وربما لم تكن له ثروة بين يديه يعول عليها في التجارة، وما كانت نفس معروف لتتهيأ للتجارة، لما رأينا من طبيعة نفسه، ولا للوظيفة، للجبلّة التي خلقه الله عليها في الثورة والتمرد.. وإنما كان صاحب قلم سيّال، وعقل منفتح وقلب متوثب وذكاء لمّاح..

هذا القلم وذاك الاستعداد الأدبي، وذلك التكوين الثقافي، وتلك العوامل النفسية التي أشرنا إليها، بالإضافة إلى طبيعة المرحلة، هي التي دفعت معروفاً -ولاشك- إلى البحث عن عمل يناسبه في هذا البلد الجديد، وفي تلك الظروف المستجدة، ولعله رآها في الكتابة.. وفي الصحافة، وهما الميدان الذي كان الرجل يضمّر فيه خيوله ويطلقها.

وفي دمشق أعماله الكبرى وحراكه السياسي والاجتماعي والفكري والأدبي.. وفيها ترجّل الفارس العنيد.

في المجمع العلمي العربي[1]

(١) تأسس المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) عام ١٩١٩م للعمل على تعريب الحياة العامة في سورية بعد خروج الأتراك منها عام ١٩١٨م، وأول ما قام به الحاكم العسكري علي رضا باشا الركابي تأليف لجان وشُعب من أجل هذه الغاية، وكان أهمها "لجنة الترجمة والتأليف" و "لجنة المعارف"، اللتان ضُمتا معاً تحت اسم "ديوان المعارف"، وأسندت رئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي، وحددت مهامه بالنظر في أمور المعارف والتأليف، وتأسيس دار للآثار، والإشراف على المكتبات ولاسيما دار الكتب الظاهرية، وإنشاء المدارس والإشراف عليها، إضافة إلى كتابة تاريخ الثورة العربية.
ولم يفلح دمج اللجنتين في ديوان واحد لاتساع الأعمال المنوطة به، فاقترح الأستاذ محمد كرد علي على الحاكم إنشاء مجمع يختص ببعض مهام ديوان =

. . . . . .

= المعارف أسوة بالمجمع العلمي الفرنسي (L' Academie Française) فاستحسن الفكرة، وأصدر قراره بإحداث المجمع العلمي العربي في ١٩١٩/٦/٨ برئاسة محمد كرد علي.

وعقد المجمع جلسته الأولى في مقره الأول بمبنى المدرسة العادلية بباب البريد يوم الأربعاء ٣ من ذي القعدة عام ١٣٣٧هـ الموافق ٣٠ تموز (يوليو) عام ١٩١٩م وحضرها أعضاؤه الاثنا عشر وهم:

الرئيس محمد كرد علي، سعيد الكرمي، عبد القادر المغربي، أنيس سلوم، أمين سويد، عيسى اسكندر المعلوف، سليم عنحوري، رشيد بقدونس، مرشد خاطر، متري قندلفت، عبد القادر المبارك، فارس الخوري.

وذكر الأستاذ الدكتور مازن المبارك بالاعتماد على وثائق أن هؤلاء هم الأعضاء المؤسسون.

ومر المجمع في تاريخه حتى اليوم بستّ مراحل؛ الأولى بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٢م وذلك حين انقلب من ديوان المعارف إلى تسميته، وكانت أغراضه تتمثل في عشرة أهداف:

١- تدبر أمور اللغة العربية.
٢- نشر آداب اللغة وإحياء التراث.
٣- ترجمة كتب العلوم والصناعات عن اللغات الأجنبية.
٤- تأليف ما تحتاج إليه البلاد من كتب بأساليب عصرية.
٥- طبع الكتب والوسائل اللغوية والعلمية.
٦- جمع المخطوطات والآثار من تماثيل وأدوات وأوان ونقود ونقوش.
٧- التدقيق في الكتب المدرسية.
٨- وضع المصطلحات وتعريب لغة الدواوين.
٩- إصدار مجلة لنشر أفكار المجمع، ولتكون صلة بينه وبين العالم.
١٠- إلقاء المحاضرات.

وقد قام المجمع في تلك الفترة بجميع هذه الأهداف.

المرحلة الثانية بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٥، وفيها كُلف المجمع بوضع منهاج لكلية الآداب التي افتتحت مطلع عام ١٩٢٤. كما تابع مهمة تعريف لغة الدواوين وإدارات الدولة ومؤسساتها ووضع المصطلحات، إضافة إلى تعاون المجمع مع معهدي الطب والحقوق في مجال التعريب. =

. . . . . .

= وفي المرحلة الثالثة التي كانت بين عام ١٩٢٦م و ١٩٢٨م فُصل المجمع عن الجامعة، وصارت له شخصية معنوية مستقلة وميزانية خاصة، وصدرت فيها قرارات بينت طريقة انتخاب رئيسه وحددت أعضاءه العاملين بعشرين، وتركت عدد أعضائه المراسلين غير محدود، وأجازت له فتح فرع في حلب، وجعلت إشرافه على الآثار علمياً فقط.

وفي المرحلة الرابعة ما بين عام ١٩٢٩م و ١٩٤٣م صدر مرسوم جمهوري يشمل أبواب نظامه الداخلي، ويلغي صلة المجمع بالآثار، وورد فيه تكليفه العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الأقطار العربية.

وفي المرحلة الخامسة الواقعة ما بين عامي ١٩٦٠م و ٢٠٠٠م غيّر في أولها اسم المجمع العلمي العربي إلى مجمع اللغة العربية، وكون فيها "اتحاد المجامع اللغوية" وأنشئت لجان جديدة تعنى بألفاظ الحضارة، وتميزت هذه المرحلة بمشاركة جهات رسمية أخرى في أنشطة يقوم بها المجمع كأعمال التعريب.

وفي المرحلة السادسة التي بدأت منذ عام ٢٠٠١م حتى اليوم (٢٠١١م) صدر القانون رقم ٣٨ بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠٠١م الذي ينص على أن المجمع هيئة عامة مستقلة ذات طابع علمي وشخصية اعتبارية واستقلال مالي وإداري ترتبط بوزير التعليم العالي، ومقرها دمشق وتلحق بها دار الكتب الظاهرية.. وحدد القانون أغراضها بالمحافظة على سلامة اللغة ووضع المصطلحات والدراسات العربية اللازمة وإحياء التراث والنظر في أصول اللغة والحد من استعمال العامية. وحدد المرسوم لجان المجمع العلمي الدائمة، وأجاز له تأليف لجان دائمة ومؤقتة.. كما حدد عدد أعضائه بخمسة وعشرين عضواً من العرب السوريين، والصفات المؤهلة للعضوية، ولم يجعلها مقتصرة على المقيمين بدمشق، وأجاز له تعيين فنيين مؤهلين بشروط. ثم في ١١/ ٩/ ٢٠٠٨م صدر المرسوم رقم ٥٠، وينص على أن المجمع هو المرجع الأعلى للغة العربية، وذكر أن أعضاءه على أربعة أقسام؛ أعضاء عاملون وأعضاء شرف وأعضاء فخريون وأعضاء مراسلون؛ فعضو الشرف ينتخبه المجلس لأنه أدى خدمة جليلة للعربية أو المجتمع أو الثقافة، والعضو الفخري هو الذي يرى نفسه أو يقدّر المجلس أنه لم يعد قادراً على القيام بمهامه، أما العضو المراسل فهو الذي ينتخبه المجلس ليستعين به المجمع في تحقيق أغراضه.

وأخيراً ظهرت عناية المرسوم بالمؤتمرات السنوية التي تتابعت منذ عام ٢٠٠٢م حتى اليوم. (مختصراً من كتاب مجمع اللغة العربية، المجمع العلمي العربي بدمشق: نشأته وتاريخه) للأستاذ الدكتور مازن المبارك.

ذاعت شهرة معروف الأرناؤوط على إثر استمرار جريدة "فتى العرب"، ثم ذاعت أكثر عام **١٩٢٩**م حين صدرت رواية "سيد قريش" التي رفعت ذكره بعد أن تلقفتها الأيدي، وأثنى عليها القراء والأدباء، ورأوا فيها ريادة في الرواية التاريخية واحتفاء بالتاريخ العربي الإسلامي الذي يعرض على نحو قوي جديد، ونغمة جديدة في أسلوب الكتابة.

ووصل خبر معروف إلى المجمع العلمي العربي، وكان الأخير في أوج امتداده على الساحة، فانتُخب عضواً فيه في ٨ تشرين الأول (أكتوبر) من عام **١٩٣٠**م، وكان لهذا الأمر دلالته؛ إذ تبوأ معروف قائمة الرجال المشاهير بدمشق.

كان المجمع يوم انتخب معروف مايزال غضاً طرياً، لم يمض على تأسيسه أكثر من إحدى عشرة سنة. وكان ترتيبه فيه السابع والعشرين[1].

(١) في أحد أبهاء المجمع لوحة رخامية مثبت عليها أسماء أعضائه، على تسلسل انتخابهم:

الاسم	سنة الانتخاب في المجمع
١- (الرئيس) محمد كرد علي	١٩١٩
٢- أنيس سلوم	١٩١٩
٣- سليم عنحوري	١٩١٩
٤- متري قندلفت	١٩١٩
٥- سعيد الكرمي	١٩١٩
٦- الشيخ أمين سويد	١٩١٩
٧- رشيد بقدونس	١٩١٩
٨- الشيخ عبد القادر المبارك	١٩١٩
٩- الشيخ عبد القادر المغربي	١٩١٩
١٠- عيسى اسكندر المعلوف	١٩١٩
١١- الدكتور مرشد خاطر	١٩١٩
١٢- دولة فارس الخوري	١٩١٩

=

وحين انضم معروف إلى رصفائه المجمعيين كان المجمع يتوفر على الحفاظ على اللغة العربية، ويندرج تحت هذا الغرض مظاهر عديدة، من وضع المصطلحات وإحياء التراث والحفاظ عليه وتأليف الكتب الضرورية ونشر مجلته وإلقاء المحاضرات التي تصب في الهدف الرئيسي وتدقيق الكتب المدرسية وتعريب الدواوين وترجمة كتب العلوم والصناعات عن اللغات الأجنبية[١].

انخرط معروف بالطبع مع زملاء المجمع بنشاطاته المختلفة، وشارك في مهرجاناته التي قامت لعهده. من ذلك مهرجان المتنبي ومهرجان استقبال الشاعرين أحمد شوقي و حافظ إبراهيم، وغير ذلك. وكان في اللجان التي تولت الإشراف والتنظيم[٢].

=

١٣- عز الدين التنوخي	١٩١٩
١٤- الشيخ طاهر الجزائري	١٩١٩
١٥- سليم البخاري	١٩٢٠
١٦- إلياس قدسي	١٩٢١
١٧- الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٢١
١٨- عبد الله رعد	١٩٢٢
١٩- سليم الجندي	١٩٢٢
٢٠- مسعود الكواكبي	١٩٢٣
٢١- عارف النكدي	١٩٢٣
٢٢- الشيخ محمد بهجة البيطار	١٩٢٣
٢٣- الدكتور أسعد الحكيم	١٩٢٣
٢٤- (الرئيس) خليل مردم بك	١٩٢٥
٢٥- الأمير مصطفى الشهابي	١٩٢٦
٢٦- شفيق جبري	١٩٢٦
٢٧- معروف الأرناؤوط	١٩٣٠

(١) مجمع اللغة العربية بدمشق، تعريف تاريخي ١٥.

(٢) مجلة المجمع والوثائق المحفوظة فيه.

لكن الملاحظ أن معروفاً لم يشارك بقلمه في المجلة ولا بنشاطه في المحاضرات[١].. ويعود سبب ذلك فيما أرى إلى أن الرجل منصرف إلى نوعين اثنين من الكتابة؛ القصة التاريخية، والمقالة السياسية أو الاجتماعية.. وهذان النوعان لايدخلان مدخلاً مسيساً بطبيعة مجلة المجمع ومحاضراته. هذا بالإضافة إلى أن الأرناؤوط منشغل بذلك الوحش الضاري "فتى العرب" الذي لايشبع نهماً، لايشبع مهما أمدّته الأقلام بالكتابة، لايصدر العدد إلا ليكون أخوه في الحمل، ينتظر الولادة بعد سويعات. وهذا ما صوّره علي الطنطاوي[٢] بقوله: "كان يجيئه عامل المطبعة فيقول له: أستاذ، ينقصنا ربع عمود، فيقول: من أين آتيك بربع عمود يا أخا الـ.. ثم يقول له: انتظر.."[٣]. وأمثال هذه الحادثة تتكرر، فالجريدة يومية، لاترحم، وأنى يرتاح معروف مع هذه الحالات، وأنى له أن يتفرغ للكتابة للمجمع!

على أن المشاركة الفعلية لمعروف الأرناؤوط تكون في مشاركته بجلسات مجلس المجمع العام الذي يمثل رأي الأكثرية فيه، ولعل رأيه فيه كان منسجماً مع آراء رصفائه المجمعيين.

وحين توفي معروف الأرناؤوط عام ١٩٤٨م خلفه على كرسيه في المجمع

(١) هذا ما عاد به استقراء مجلة المجمع ما بين عام ١٩٣٠ تاريخ انتخابه وعام ١٩٤٨ تاريخ وفاته.

(٢) علي الطنطاوي: أديب دمشقي خطيب متفوه، تخرج بكلية الحقوق في جامعة دمشق، وعمل بالصحافة مع معروف الأرناؤوط وغيره، كما اشتغل بالتعليم، ثم تقلب بوظائف القضاء حتى كان عضو محكمة التمييز، وكان له أثره في صياغة قانون الأحوال الشخصية القائم على الشريعة الإسلامية. انتقل إلى السعودية أستاذاً في جامعاتها، ووضع هناك قانون الإفتاء، ثم تفرغ للدعوة، واشتهر فيها ببرامجه على التلفاز. توفي بجدة عام ١٩٩٩. وله مؤلفات عديدة. (إتمام الأعلام ط٢، ٢٩١).

(٣) ذكريات ٢/ ١٠.

الدكتور سامي الدهان[١]، واستقبل في الرابع من شباط (فبراير) عام ١٩٥٤م.. ومن منصة قاعة الاحتفالات في المجمع تحدث عنه وترجم له في ذلك اليوم[٢].

واعترافاً بمكانة معروف وفضله وأعماله أطلقت محافظة دمشق اسمه على إحدى المدارس الإعدادية بالمدينة[٣].

(١) سامي الدهان أديب عالم، ولد بحلب، وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون، من أعضاء المعهد الفرنسي للدراسات العربية، أستاذ محاضر بجامعة دمشق وبالمغرب والأردن. له كتب عديدة، توفي بدمشق عام ١٩٧١م، ودفن بحلب. (الأعلام ٣/ ٧٤).

(٢) الترجمة في إضبارة معروف الأرناؤوط بالمجمع. ثم كتب عنه الدكتور الدهان في مجلة المجمع، المجلد ٢٩، ص٢٨٢-٢٩٥.

(٣) وهي في حي القدم جنوب دمشق، كما في إضبارته بالمجمع. عن كتاب مديرية التربية رقم ٣٤/ ص، تاريخ ١٣/ ٣/ ١٩٧٧.

٢
القسم
الثاني
الأعمال

صفحة بيضاء
رقم 48

بواكير قلم

بدأ معروف الأرناؤوط نشاطه في الكتابة والترجمة والاتصال بالصحف مبكراً، فأخذ ينشر ما تجود به قريحته في جرائد بيروت ودورياتها، فاحتضنته صحف "البلاغ" و "الرأي العام" و "الإقبال".. منذ عام **١٩١٢م**[١].

ترجم عن الفرنسية وألف آنذاك عدداً من القصص والروايات، خرجت على صفحات تلك الجرائد، أو على شكل كتيبات صغيرة، لايعدو أحدها ثلاثين صفحة، طبعت على ورق رخيص، تهدف فيما تهدف إلى التسلية وتزجية الوقت[٢].

ولابد أن القراء أقبلوا على هذا النتاج الذي يعدّ غزيراً في ذلك الوقت، ولشاب بهذا العمر، فمهد ذلك لشهرته فيما بعد.

---

(١) كلمة عبد اللطيف الأرناؤوط في إضبارة المترجم له (خ).

(٢) قدماء و معاصرون ٢٣٦.

معروف الصحفي

الصحافة أيام معروف الأرناؤوط

قبل أن نخوض في الحديث عن معروف الصحفي ينبغي أن ننظر إلى حال الصحافة في تلك المرحلة التي عاشها الرجل الذي غطت حياته مرحلتين؛ الدولة العربية والانتداب الفرنسي، لنرى الجو الذي كان فيه.

فقبل دخول الجيش العربي دمشق كانت الصحافة تخضع لقانون رقابة شديدة، وخصوصاً زمن الحرب؛ فلما قامت الحكومة العربية عام ١٩١٨م كان من الطبيعي أن يتغير حال الرقابة، وأن تتبدل قوانين الصحف، التي احتجب بعضها، وقامت بدلاً عنها صحف جديدة[١]. وبدأت حركة صحفية نشطة من جهة، ومتحررة وحماسية من جهة أخرى، وخصوصاً بعد إلغاء قانون المطبوعات التركي. وظهرت اللهجة القومية والشعور بالاستقرار النفسي[٢].

كان لمعروف الأرناؤوط فضيلة السبق في إصدار أول جريدة أبصرت النور في الحكومة العربية، وكانت بالمشاركة، وهي جريدة "العلم العربي" التي سنتحدث عنها.

---

(١) الصحافة السورية ورجالها ٩٨.

(٢) المرجع السابق، تطور الصحافة ٢/ ١١.

وبلغ مجموع ما صدر في دمشق خلال ثلاثة أشهر من عام ١٩١٨م خمس جرائد[١]، وهو عدد كبير لمدينة لم يكن يبلغ تعداد سكانها آنذاك مع غوطتها ٢٠٠ ألف نسمة.

أما مجموع الجرائد الصادرة في العهد العربي كله (من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩١٨م حتى ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٠م) فبلغ في سورية ٤٢ جريدة ومجلة، وهي نسبة مرتفعة، لم تشهدها الصحافة السورية في عهودها الأخرى[٢].

وكانت الدولة تمد يد العون والمساعدة المالية لأصحاب الصحف. وفوق هذا فقد دعا الأمير فيصل رؤساء التحرير للصحف السورية وطلب منهم توجيه الرأي العام نحو تأسيس نظام استقلالي ديمقراطي وطني.

كانت الصحف السورية تخضع للرقابة الذاتية، وكانت تجد من واجبها الثناء على العهد الوطني بسبب الحريات التي أطلقها، والإصلاحات التي يجريها[٣]. ويرى بعض الباحثين أن الصحافة آنذاك خضعت في بدايات الحكم العربي الوطني إلى شيء من الرقابة العسكرية في مدة وجيزة إلى أن استتب الحكم، ونعمت البلاد بالحرية الملموسة.. فأخذت الدولة تشجعها، وتمنحها المساعدات المالية الممكنة[٤].

تفننت الصحافة في أثناء الحكم العربي بالدعوة إلى مبايعة الأمير فيصل، والتغني بشخصه، وبأمجاد أسرته، ورأى بعضها فيه المنقذ الوحيد وجامع الشمل ورافع كلمة العرب[٥].

(١) تطور الصحافة ٢/ ١١، الصحافة السورية ورجالها ٩٩.
(٢) تطور الصحافة، المرجع السابق، الصحافة السورية ورجالها ٩٩.
(٣) تطور الصحافة، الصحافة السورية، المرجعان السابقان.
(٤) الصحافة السورية ورجالها ٩٧.
(٥) جريدة الاستقلال العربي، الأعداد الأولى نقلاً عن تطور الصحافة ٢/ ١١.

كتب معروف الأرناؤوط يثني على الحكم الفيصلي: "سلام أيتها الجيوش العربية التي عرفت الحق فجاهدت في سبيله، وأجهدت نفسها، وركبت المصاعب، وتجشمت المناكر والمتاعب.. سلام أيها السلاح العربي الذي ينشر الصفو والدعة في هذه البلاد التاعسة التي سحقها الظلم، وخربها التعذيب، وبددها التنكيد.. إن الذين خلّصوا سورية من التدمير، وحفظوا أعراض نسائها وفتياتها من الانتهاك، وصانوا حرمات الشيوخ والكهول هم والحمد لله سوريون مخلصون لصاحب العرش والتاج مولانا فيصل بن الحسين الأول ملك سورية والحجاز.. ولقد كان جهادهم عظيماً شريفاً مقدساً.

أيها العرب

إن جريدة "الشرق"[١] التي كانت عامل الخراب في البلاد قد احتجبت، وصدرت جريدة "الاستقلال العربي" مكانها، يحررها شبان العرب الناهضون.

أيها العرب

هذا استقلالكم فصونوه، وهذا علمكم فأحبوه، وهذا ملككم فأيدوه"[٢].

ولم تنعم الصحافة بطويل حرية، إذ سرعان ما خيم حكم الفرنسيين على سورية، ودخل جيشهم دمشق في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٢٠ ففرضت رقابة شديدة على الصحافة وأربابها، وأحكم الجنرال غورو أول المفوضين الساميين قبضته على البلاد، وقسا عليها من أجل تدعيم سلطة الانتداب، وزرع هيبته في النفوس، فأنشأ مكتب الصحافة في المفوضية العليا[٣].

(١) أنشأها جمال باشا أيام الحرب العالمية الأولى (الأعلام ٦/ ٢٠٢ في ترجمة محمد كرد علي).
(٢) الاستقلال العربي، العدد الأول ١٤/ ١٠/ ١٩١٨.
(٣) تطور الصحافة ٣٣.

وعرفت سورية أكثر من قانون للصحافة، وأكثر من قرار ضابط لها، بحيث أخذ يظهر كل عام أو عامين شيء جديد في القيود على الجرائد.. وقد أسندت صلاحيات التعطيل المؤقت أو الدائم للمفوض السامي ولحاكم دمشق ولوزير الداخلية ولرئيس الحكومة[١].

كانت الصحافة في زمن الانتداب تطالب بالوحدة الوطنية السورية، وبالحريات الديمقراطية، وبمجلس نيابي منتخب وحكومة شرعية.. وتنتقد الحكام المحليين والمفوضين السامين. ولما قامت الثورة السورية (١٩٢٥-١٩٢٧م) تحدثت عنها وتناولت معاهدة الاستقلال عام ١٩٣٦م، ونددت بضرب دمشق عام ١٩٤٥م، وغير ذلك من الموضوعات الكبرى. ولذلك كانت تتعرض لمزيد من العنت والاضطهاد، ويكثر عليها الحجر والتقييد، ويتعدد إقفالها وتعطيلها مدة أطول من الأولى. وقد يستمر هذا التعطيل شهراً أو شهرين، ويتبعه تعطيل آخر.. وهكذا يزداد الإرهاق على الصحيفة حتى تتوقف نهائياً من تلقاء نفسها.. إن لم تكن قادرة على الصمود والاستمرار[٢].

صدر إبان الانتداب عدة قوانين صحفية، وعدة ملاحق أو تعديلات تابعة لها، أبرزها قانون المطبوعات الصادر عام ١٩٢٤م، وتبعه لاحقة عامي ١٩٢٥م و ١٩٢٦م، ثم صدر ذيله عام ١٩٣٠م، فمرسوم خالد العظم عام ١٩٤١م. هذا غير القرارت والملحقات خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) وكانت في جملتها تحدُّ من حرية النشر والصحافة، مما اقتضى أن تبدأ الصحافة كفاحها من أجل حرية الكلمة..[٣]

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ٣٤.
(٣) المرجع السابق.

وإذا كانت الصحف الوطنية تسير في هذا الاتجاه، فإن بعضها ظلّ موالياً للبيت الهاشمي، كجريدة "فتى العرب" التي بقيت على ذلك طويلاً، وإن كانت تمجد بالثورة الكمالية في تركيا[١] وانحاز قسم منها إلى اتجاهات أخرى.

على أن الكلمة الأخيرة التي تقال في صحف الانتداب أن الصحافة السورية لم تنضج ولم يقو عودها إلا في ثلاثينات القرن العشرين، ولاسيما بعد معاهدة ١٩٣٦م.[٢]

ولم تكن الصحف كلها على مستوى واحد، كان بعضها ضعيفاً، واشتهرت بينها صحف لها اتجاهاتها المعروفة.

فماذا عن معروف الصحفي، وعن عمله في مجال الصحافة؟

الصحفي معروف الأرناؤوط

ليس فيما بين أيدينا من المصادر ما يدل على احتراف معروف للصحافة، وبدايات تكوينه وأساتذته فيها.

فهل كان معروف صحفياً بما في هذه الكلمة من معنى؟

وما مكانته بين رجال الصحافة لزمنه؟

وكيف استمر بها على مدى ثلاثين عاماً متواصلة؟

وما أدواته التي استخدمها؟

وما المشاركات الصحفية التي قدمها وخدم بها؟

وأي رجل كان فيها؟

وفي أي مدرسة تعلم حتى برع بالصحافة وأقبل الناس عليه؟

---

(١) تطور الصحافة ٥١.

(٢) المرجع السابق.

قال علي الطنطاوي: "كان معروف أديباً، ولم يكن صحفياً"[١]. هذا حكم مباشر على معروف، يعود الطنطاوي نفسه ليقول "كان في دمشق يومئذ (أي سنة ١٩٣٠) أربع جرائد (المقتبس، وألف باء، والشعب، وفتى العرب) وجرائد أخرى ليست في منزلة هذه الجرائد، ولاهي مطردة الصدور"[٢]. فكيف لم يحكم له الطنطاوي بالصحافة وقد استمر هذا الاستمرار، وهو يقول إنها الجريدة الهامة بدمشق؟ وما مقياس الصحفي عنده؟ لايذكر شيئاً من ذلك.

ولعل الطنطاوي يريد أن يقول: كان معروف أديباً أكثر منه صحفياً، أو أن الأدب كان ديدنه الأول.. والصحافة كانت حرفة تكسبه، ومورد معاشه الأساسي الذي وجد نفسه فيه اعتباطاً.. ربما.

لم ينتظر معروف أياماً طويلة بعد دخوله دمشق، وما أسرع ما أسس جريدة سماها "الاستقلال العربي" بالاشتراك مع رشدي مَلحَس[٣] وعثمان قاسم[٤]، عاشت شهوراً، ثم أغلقت بعدها.

وفي السنة التالية ١٩١٩م أصدر معروف مع صديقه سليم عبد الرحمن مجلة "العَلم العربي" وكانت أدبية شهرية.. ولم يصدر منها سوى عدد واحد[٥].

ولم ييئس معروف لإخفاق الدوريتين، بل زاده التعثر إصراراً، وربما اكتسب منهما تجربة ما في العمل الصحفي، وربما كانت له كذلك

(١) ذكريات ٢/ ٧.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٩.
(٣) رشدي ملحس (ت ١٩٥٩م) من الشباب المتحمسين للقومية العربية. ولد في نابلس وتعلم بها وباسطنبول، وكان في هذه أمين السر بجمعية العهد العربي. وعمل بالصحافة في دمشق، ثم عاد إلى نابلس زمن الانتداب الفرنسي على سورية. ورحل إلى السعودية فكان مقرباً من الملك عبد العزيز آل سعود. توفي بجدة (الأعلام ٣/ ٢١)
(٤) لم أقع على ترجمة له.
(٥) تطور الصحافة ٢/ ١١، ولم أقع لسليم عبد الرحمن على ترجمة كذلك.

مقدمة إلى عمله الاحترافي؛ فسرعان ما أصدر الجريدة التي رفعت اسمه بين الصحفيين والسياسيين والكتّاب بدمشق، تلك هي جريدة "فتى العرب" التي ولدت في ١٨ شباط (فبراير) ١٩٢٠م، أي أواخر العهد الفيصلي وقبل الانتداب الفرنسي بشهور خمسة تقريباً.

وكان عُمْر معروف آنذاك ثمانية وعشرين عاماً، عمر لايحتاج صاحبه فيه إلى اندفاع جديد ولا إلى توثب ولا إلى تجربة أولى جديدة، وخصوصاً بعد الأحداث المريرة التي عاشها في بيروت وتركيا وبلاد الشام.. وبعد الثقافة الملونة والاطلاع الواسع في الأدب.

واستمر معروف يكتب لصحيفته ويحررها حتى آخر يوم في حياته، يوم استراح قلمه بعد تعب طويل.

والسؤال الذي يطرح نفسه في الحديث عن الصحافة يقول:

- هل تعيش الجريدة، أية جريدة على اشتراكات القراء؟ وهل تستمر على ذلك؟

إن الشائع في تاريخ الصحف أن كل واحدة منها -مهما كان اتجاه هذه الواحدة وإخلاصها- تصانع جهة معينة هي التي تدعمها.. وتتكلم عندئذ باسمها، لتستمر بها الحياة وتدوم..

وقد رأينا أن حكومة العهد الفيصلي كانت تدعم الجرائد بالمال والتشجيع المعنوي، فلما كان الانتداب وتقلبت الأحوال وظهرت اتجاهات معينة في الدولة كانت الصحف تحتاج إلى دعم كذلك لتستمر.. وكان الرؤساء والمتنفذون يدعون أصحاب الصحف، فيوزعون عليهم مبالغ من المال ليكتبوا لهم ما يريدون أو يريد أسيادهم (المنتدبون)[١].

(١) ذكريات ٢/ ١٢.

فهل اضطر معروف الأرناؤوط إلى مثل ذلك؟

الجواب الطبيعي أن نعم.. فقد كان يناله حظ ما من الدعم لئلا تسقط جريدته، ولكنه على ما يبدو دعم قليل لابد منه.. وأكبر الظن أنه ينال ما يُشترى به سكوته[١] أو على الأقل لئلا يفضح ما يفعله الآخرون المنحرفون. وكان جريئاً على الرؤساء، وهم الذين يصانعونه أكثر مما يصانعهم.[٢]

جريدة الاستقلال العربي (١٩١٨)

صدر عددها الأول في ١٤/ ١٠/ ١٩١٨م، أي بعد دخول الجيش العربي دمشق بأيام. كانت يومية تحت شعار "من العرب وللعرب" وأشرنا إلى أنها كانت أول جريدة تصدر في العهد الفيصلي. تولى معروف رئاسة تحريرها. وأوكل إدارة التحرير إلى عثمان قاسم.. ثم تركها له بعد أشهر. وما لبثت أن توقفت.

وهذه الجريدة التي كانت في صفحتين ثم صدرت في أربع، يبدو فيها من عنوانها طابعها العربي وكأنه رد على الأتراك[٣].

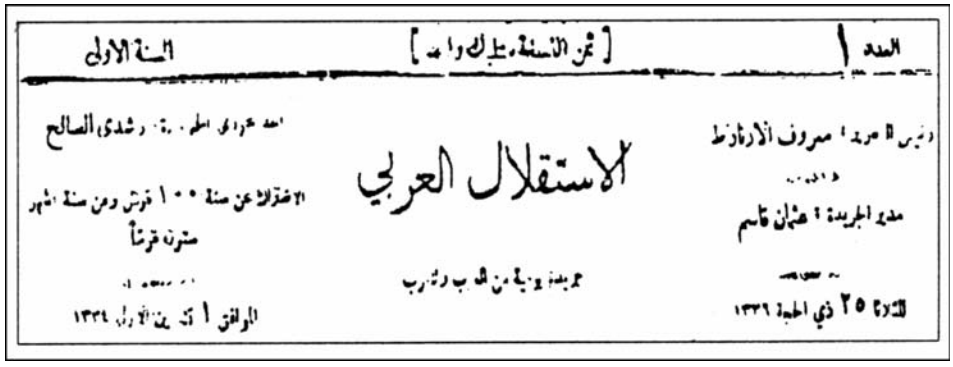
العدد ١ [ثمن النسخة ...] السنة الأولى

الاستقلال العربي

مدير الجريدة : عثمان قاسم

الثلاثاء ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٦

الموافق ١ تشرين الأول ١٣٣٤

صورة لأحد أعداد جريدة الاستقلال العربي

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق. وفيه بعض مواقف من جرأته.
(٣) معجم الجرائد السورية.

فتى العرب

صدر عددها الأول في ١٨/ ٢/ ١٩٢٠م، وكانت تحمل عبارة "يومية سياسية حرّة"، ترأس معروف الأرناؤوط تحريرها. وحرر بها مدة رشيد الملوحي وأديب الصفدي. كانت في أربع صفحات من القطع المتوسط، ثم صدرت من القطع الكبير. ووصل عدد صفحاتها إلى ثمان.. ثم عادت فتقلصت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م إلى صفحتين، لتعود بعد جلاء الفرنسيين عن سورية عام ١٩٤٦م إلى أربع صفحات كبيرة حتى آخر أيامها[١].

أتى عليها فترات ازدهار حتى كانت في الصف الأول مدة من الزمن.. ولكنها ظلت باقية مستمرة لم تنقطع مع انقطاع كثير من الدوريات.

كانت تصدر فتى العرب عصر كل يوم، فتتناولها الأيدي بلهفة، واشتهرت بمقالها الافتتاحي الذي يكتبه معروف، وعليه يقبل كثير من القراء. كانت "فتى العرب" المنبر العالي الذي تربع عليه معروف منذ إنشائها حتى ترجل راحلاً نحو الأجل المكتوب.

كانت دنيا الصحافة في أيام معروف مكتباً متواضعاً بجانب السرايا (وزارة الداخلية اليوم)، يطل على نهر بردى[٢]، وكان في عمارة صغيرة[٣] تشتمل على دكانين فوقهما بهو واسع، وكانت هيئة التحرير مؤلفة من معروف ومعه علي الطنطاوي في دكان، والإدارة والتوزيع في دكان يشرف عليهما موظف واحد، وكان فوقه المطبعة وعمالها.. وكان عمالها من الصفوة المختارة[٤].

من هذا المكان كانت جريدة فتى العرب تصدر.

---

(١) معجم الجرائد السورية ٦٤.
(٢) يوم كان نهر بردى مكشوفاً من ساحة فكتوريا حتى المرجة، فجهة خروجه من المدينة.
(٣) وقد هدمت لتقوم مكانها عمارة شاهقة.
(٤) ذكريات ٢/ ٩، مجلة المجمع مجلد ٢٩، ص ٢٨٨.

فتى العرب

صاحب الجريدة ورئيس تحريرها
معروف الارناؤط

مكتب الجريدة
دار النصر بالشعلان وراء باب يزيد

في دمشق
في البلاد
في البلاد

جريدة يومية سياسية حرة

الاربعاء في ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨

السنة السادسة

المدير المسؤول : معروف الارناؤط

بدل الاشتراك

عنوان الرسائل والتلغرافات
= فتى العرب =
صندوق البريد رقم ٩١٥.
ادارة الجريدة بناية العابد شارع رامي

محل طبعها
مطبعة سوريه الجديدة

ايرة الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

فتى العرب

جريدة يومية

دمشق الجمعة في ١٧ صفر سنة ١٣٤٢

٢٨ ايلول سنة

صورة لنموذجين من إصدارات جريدة فتى العرب بتاريخين مختلفين

كانت الجريدة في أربع صفحات كما ذكرنا، وقد كانت العادة أن يكون في الصفحة الأولى ثلاث مقالات.. وفي الصفحة الثانية والثالثة الأخبار المحلية وأخبار المناطق، وفي الرابعة الأخبار العالمية، وكانت تؤخذ من وكالتي رويتر وهافاس (الفرنسية).. وخلال ذلك كله الإعلانات.[١] ولم يكن لأكثر الجرائد يومئذ مراسلون.. فكان المراسل المقص.[٢]

وكثيراً ما كان مقال معروف يتناول الساسة والسياسة بغير ما يشتهي الجالسون على الكراسي، ويضطرون أن يغضوا أبصارهم عن معروف.

(١) ذكريات ٢/ ١٠.
(٢) معجم الجرائد ٦٥.

وكان معروف يقضي نهاراته ولياليه في مقر الجريدة التي كانت همه الدائم، يجاهد من هناك لتبقى على وضع حسن. ومن يتصفح أعداد الجريدة يشاهد فيها قصائد الشعراء المعاصرين، وفيهم عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني وحسين هيكل وأحمد شوقي وخليل مطران وشكيب أرسلان وشفيق جبري.[١] هذا إلى جانب قسم فيها خصص فيما بعد للدراسات الأدبية والبحوث التاريخية والترجمات الشعرية والقصة.[٢]

وكانت المقالات تتنوع بين الأدب والاجتماع والسياسة إلى جانب الشعر، وهذا يدل على أن صاحب فتى العرب يرى الرأي للأدب قبل السياسة والاجتماع.. ولذا كانت وحدها بين الصحف تحمل طابع المجلة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً.[٣]

وكان معروف بمساعدة موظف واحد[٤] يحررها ويكتب مقالها الافتتاحي، كاشفاً فيما يكتب عن نزوعه السياسي إلى نهضة عربية قومية، تكون منطلقاً لإحياء ماضي العرب والإسلام. وكان ينهج في سياسة جريدته نهجاً حراً يخالف أحياناً نهج السياسيين، إلا أنهم مع ذلك كانوا يجمعون على تقدير موهبته وأدبه لإيمانهم بإخلاصه للقضية العربية.[٥]

ولقد سبقت الإشارة إلى أن جريدة فتى العرب ظلت موالية للبيت الهاشمي حتى بعد سقوط الحكم الفيصلي.

وخاب أمل معروف في نهضة عربية إسلامية، وضايقه الفرنسيون، فهادنهم

(١) أعداد الجريدة.
(٢) الموسوعة العربية ١/ ٩٥٢.
(٣) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨٨.
(٤) عمل معه علي الطنطاوي خمسة أشهر من عام ١٩٣٠م، ولانعرف آخرين عملوا معه. ذكريات ٢/ ٧.
(٥) الموسوعة العربية ١/ ٩٥١.

في جريدته، ووقف على الحياد إزاء سياستهم، ولكن حسه الديني مالبث أن توجه نحو تركيا كما ذكرنا من قبل، فسخر جريدته لمدح الثورة الكمالية والتنويه بمنجزاتها، واتخذ من غاياتها وأسبابها ما يؤلف به قلوب المسلمين جميعاً[١].

وكان القراء من أنصار الدولة في تركيا يتلقون جريدته بالقبول، ويجدون فيها طلبتهم[٢]. كما كان الأدباء يتلقفونها لما فيها من أدب وشعر ودراسة، يوحي بذلك من تحدث عن معروف الأرناؤوط.

وعلى أي حال فقد كان للجريدة هذه شأن عظيم وشهرة بين الجرائد في وقتها شهد بذلك معاصروه، فقال علي الطنطاوي كما ذكرنا من قبل: "كان في دمشق يؤمئذ (أي سنة ١٩٣٠م، أي بعدما مضى على صدور الجريدة نحو اثني عشر عاماً، وهو زمن في عمر الجرائد ليس بالقصير) أربع جرائد هي المقتبس، وألف باء، والشعب، وفتى العرب.. وجرائد أخرى ليست في منزلة هذه الجرائد، ولا هي مطردة الصدور".[٣]

وإذن فقد صمدت الجريدة بالرغم من اضطرابات الصحافة في تلك المرحلة (١٩٢٠-١٩٤٨م).

ولما توفي معروف عام ١٩٤٨م انتقل امتيازها إلى عديله "مظهر شيخ الأرض"[٤]، فتابع إصدارها حتى توقفت أيام حسني الزعيم[٥] في ٣٠/ ٣/

(١) تطور الصحافة ٥١، معروف الأرناؤوط ١٦.
(٢) معروف الأرناؤوط ١٦.
(٣) ذكريات ٢/ ٩، ولمعرفة هذه الجرائد انظر معجم الجرائد السورية ص ١٧، ٦٩، ٨٠، ٩٦، ١٤٨.
(٤) ولد بدمشق عام ١٩١٤م، وتعلم بها في مدرسة الآباء العازاريين ومدرسة عينطورة بلبنان، اشتغل في عدد من وكالات الأنباء منذ عام ١٩٣٩، وكان مراسلاً لجريدة فتى العرب في أثناء إقامته بأوروبا. (معجم الجرائد السورية ٤٢٦).
(٥) وقد صدر آنذاك أكثر من مرسوم بتعطيل الجرائد. (معجم الجرائد ٦٥، ٥٥٥، ٥٥٦).

١٩٤٩م، وأعيد إصدارها بعد أشهر في ١٤/٨/١٩٤٩م.. واستمرت حتى قيام الوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨م، فتوقفت نهائياً مع جميع الصحف بقانون من رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر[١].

العلم العربي (١٩١٩)

هذه المجلة التي أصدرها معروف وئدت من العدد الأول، كما قال وجيه بيضون[٢].

(١) صدر هذا القانون برقم ١٩٥ تاريخ ٢٣/١١/١٩٥٨م لتنظيم بعض أمور الصحافة في الإقليم السوري، وطلب فيه التنازل عن امتياز أصحاب الصحف بطلب خطي يقدم إلى مديرية الدعاية والأنباء خلال ١٥ يوماً من تاريخه، ولايجوز الرجوع عن الطلب، وتشكل لجنة تقدر قيمة التعويضات التي سوف تمنح للمتنازل عن امتيازه. (معجم الجرائد، ٥٦٧)

(٢) بين الصناديق ٢٢٨.

نموذج عدد من أعداد جريدة فتى العرب

٥٤٣ السنة السادسة

المدير المسؤول : معروف الارناؤوط
بدل الاشتراك
في سوريه ٤٠٠ غرش فضه
في الخارج ٦٠٠ غرش فضه
اجرة الاعلانات
تتفق عليها مع الادارة

فتى العرب
جريدة يومية

عنوان الرسائل والتلغرافات
فتى العرب
صندوق البريد رقم ٥١٥
ادارة الجريدة بداية الميدان شارع رامي
محل طبعها - مطبعة سوريه الحديثة

دمشق الاربعاء في ٨ صفر سنة ١٣٤٢ ٥ ٣ ايلول سنة ١٩٢٣

حقيقة ومخيال

ماصل موسوليني ومانوي وما التعاق عن الهوى وقد صرح لبني قومه ان الحرية خيال من خيلة الشعراء والثائر يدفع قوله ؟ ولا اصارح له رأيا ؟ او ننزع الى تشويه بعض الشيء من مبادئه ؟ وما ذلك الا لانه ادرك قبل كل انسان غيره ان المصارحة اجدى على الشعوب واذا كانت السياسة البريطانية تخدع تنزع البسطاء والسذج بما تعرض امامهم من مظاهر الحرية وبضاعتها !

فان السياسة الانجليزية على النقيض منها ؟ تحتذي الصراحة وبجاهي الحواية ؟ وان كانت تقوم على القوة كوترتكز على الاثانية ؟

ولقد اصبح الشرقيون يعتدون الحرية قصيدة من قصائد الشعراء تهف امامك الفضاء الفسيح والملق الصبيح والسيل المائج الهادر ؟ والبحر الهائج الثائر صاروا لايعدونهم بها ولا يؤمنون بآياتها ! وهم في كولهم منها مصيبون وامن العدل والايمان الحقيقي ان لايعتقد الانسان عقيدة لايعرف لها صورة ولا رسما

اين كانت الحرية ؟ قبل ان تغني ميل الاستبداد العالم ؟ هذا مارمس [illegible] الانسان في سلوكه ومزاجه ؟ وقد [illegible] معاجمه فيحمله الى مجاهيل بعيدة ليست لها شواطئ ويقذف به الى [illegible] ثائرة عنيفة من النفوس فلا [illegible]

[illegible] من الخيال هي [illegible] كانت ايام [illegible] واد واصبحت الحرية الخارجية [illegible] او يتخيلها سيلا دافقاً يمتق اخضرار المروج ؟ وانواء لا يبيحا تضحك لها النفوس والكمه اذا استصفى نفسه من نوازع الخيال عرف مستقر هذه الحرية الطالبة وأدرك انها لاتطفو فوق الازباد ولا تسمو ارتفاعا الى سوامخ الاعواد ؟ وليست هي بالكوكب الباسم ؟ ولا السيل الدافق ؟ وانما هي نغم مترع بالنحوس وليل غيهبه حافل بالقبور والرموس

انهم يقاتلون في سبيلها تلك الحرية الغالية الخالدة ؟ ثم يتهافتون على الاحراق والاغراق وضرب الاعناق

ثم متى سكنت الرياح العاصفة وهدأت فورة النفس في ضمير الانسان الجامح ؟ تراهم يراعون الى التضييق عليها بقوانينهم وانظمتهم وشرائعهم ؟ فيالحرية وقد ولدت في المصارحة وعاشت واكتهلت في المواربة والخاتلة

ما كذب ماكس نوردو فيلسوف الجرمان يوم قال لقومه ان الشعر في المستقبل سيموت في النفس القوية الطاغية ؟ وأن الشعوب التي تعيش تحت الاجواء الاوربية ستنقطع منذ هذا اليوم الى مساديانها فلاتنتهي بالشعر والحرية وهما وليدا امر أة واحدة اسمها الوهم او قد يصبح الشعر او الحرية في آلاتي مسلات نفس الضعيف وخبزه اليومي او قد ينتب الناس في مختلف الارجاء عن شعر الشعراء الى أن يحدوه قائفاً في الضعفاء !

والخلاصة ان الشعوب صائرة الى حياة مادية جديدة تخالف بأوبها القديم فأن الاحلام البراقة التي كانت تغذي نفوس الملأ قد اضمحلت وعفا اثرها

القوة فمن اعطى هذه القوة كان له العز والدأماء والثراء ومن ضل ضلاله وهو وراء الخيال فتح لنفسه قبر أو اتخذ لديه واهله في بطن الارض مستقراً فالسلام السلام على الاقوياء ! ولا سلام على الضعفاء !

جلاء الحلفاء عن الاستانة

وتصريحات الجنرال هارنغتون عن اعمالهم قبل ذلك

هي اليوم الجنرال هارنغتون كان الصحف التركية والاجنبية مناسبة ختام العهد الاول من الجلاء واستقبلهم الجنرال وهنو المعسكر العام للحلفاء . وصافح الجميع ثم تلا التصريحات الاتيه :

اني مسرور اليوم اذ أرا كم هنا اجمعين لمقابلتكم منذ أيام مدنية واني لمتأثر اذ كنت ارفض طلبكم كما الردتم مقابلتي بيدأني ما اخترت تلك الخطة الا لسبب مهم اوضحه لكم الان

كنا تقني في الاستانة موقفاً محفوفاً بالمشاكل بصفتنا مدافعين عنها بيدأني كنت مقتنعاً ان الجميع راغبون في السلام والعالم بأسره لايريد ان يقع في مصيبة اخرى . كل منا يحمل من ذكريات الاهوال الفظيعة الماضية عناً من الالام واني لمسرور اذ اعاد الاستانة حاملا معي احسن الذكريات بعد النقضاء مهمتي . لقد كانت تلك المهمة صعبة في بعض الاحيان بيدأني حافظت على العبدة التامة آراء كل طرف ومدارت الجهد لمقابلة جميع من اتصل بهم على نمط واحد

ان المسائل التي تتولى من احتلال عسكري ليست سهلة ولو كان الانسان ظالما غشوما . على الاقل لكننا اردنا أن نسير على خطة الاحترام وعبارة الانسانية

ولهذا فأننا احترمنا مشاعر الاتراك على الدوام وتركنا انا كثيراً من اصدقاء متحابين يحترم بعضهم بعضا اردنا أن نعامل كل طرف معاملة مبنية على الحق والعدل

لقد حدثت بعض المآسي كل وجب أن نقوم ببعض الحركات التي كانت قليلة لحسن الحظ اوقد قمنا بها بشدة ولقينا من الاتراك احتراما

واذا تركت المهاجرين الذين مروا من هنا فاني أرى أن اسجل ما فعلناه من اتخاذ التدابير الصحية بأنقاذ لاستانة من الامراض بمرض الاستانة خلال الثلاثة اعوام الماضية (١٥٠٠٠٠) مهاجر روسي و(٧٥٠٠٠) اجنبي تركي و٨٥٠٠٠ مهاجر روماني وآلاف من مهاجري الارمن والحق ان التشكيلات المعدة التي اشتغلت بهذه المسألة قد ادت الى كل توفيق وقد رحل جميع اولئك المهاجرين من الاستانة الا بضعة آلاف من الروس

ويمكنني أن أذكر كذلك ما فعله بوليس الحلفاء وما قامت به محاكمنا المختلفة .

انني اعلم انه قد وقع بعض التدابير التي اتخذناها وان الانفصال ليس من السهل تنفيذ القانون وتوطيد الامان في بلدة الاستانة وهي جامعة لمختلف الشعوب

مر على توقيع اتفاقية (مدانيه) نحو عام وقد كنا نأمل الوصول الى الغاية بكل سرعة فالاتفاق الاساسي في (مدانيه) علاقات حسنة مع عصبت بشاواتي

لا نظر الى تلك الصداقة التي تأسست بينها وبينه رعاية من كل مشاكل الشهور الاخيرة نظرة اعجاب وتقدير

ومما ينبغي أن أذكره بأسم الحلفاء قيامهم بأعمال تراقبا الشرقية تحت ادارتهم

لقد كان موقفنا في الاستانة محفوفاً بالمخاطر الى حين وصول مندوب الجمعية الوطنية الكبرى الى الاستانة. بيد اني أصرح بكل جلاء انناما وصلنا الى النتيجة الحالية دون أن تقع حوادث وخيمة الا بأبداء الطرفان من حسن النية .

وقد كان جديراً بكل طرف أن يكون متبصراً صبوراً أليقتحم مشاكله وينبغي علينا أن نكون شاكرين لما امكننا الوصول اليه من النتائج السعيدة .

لقد كانت الحوادث التي وقعت قليلة بيد ان سببها واحد . هو عدم اعتراف حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لاحتلالنا . لكننا كنا مضطرين على محافظة حقوقنا التي ننتمي اليها .

لقد ظهرت بعض المشاكل في بعض الاحيان كأنما لا يمكن اقتحامها لكن ثبات الطرفين وحسن حكمتها قادا دي الى حل كل مشكلة

والآن لا يبقى الا اتمام الجلاء وقد وعدنا الجنرال عصمت باشا عند عودته الى انقره بطريقة الاستانة انا نتمم الجلاء بكل اخلاص

اما فيما يختص بالجلاء فقد رحل ٨٠٠ جندي انكليزي . والسفن التقليه في طريقها الينا مقادير اخرى . وسيبدأ الدور الثاني من ادوار الجلاء يوم الثلاثاء المقبل ارسال عساكر (ايرلش غارد) الى جبل طارق

لقد اجتمع قواد الحلفاء مع الجنرال صلاح الدين عادل باشا مرارا واتخذوا جميع التدابير لتسليم المباني العامة والخاصة التي يحتلها الحلفاء وتسليم المواد الحربية التركية، تسليم مراقبة الخطوط الحديدية وغيرها في اوقاتها المعينة. وفاق بروتوكول التخلية المعقودة في لوزان

سيتم الجلاء في اثنين واربعين يوما .

ويرحل القواد في آخر يوم .

ولم يبق لي الا ان اتمنى لتركيا دوام صلحها ورفاهيتها

سنحمل معنا ذكريات سعيدة كما أسلفت وأنام أرمن جميع الشعوب الا كل رقة ولولا هذه المظاهرة لما سهل اقتحام المشاكل

لقد أدى الجنود واجبهم بكل بصيرة وتحمل وانا واثق انهم يترکون وراءهم سمعة حسنة يسر الجيوش التي ينتمون اليها

آخر الانباء

١٨ ايلول سنة ٩٢٣

تعريب الادارة

سياسة موسوليني وتصريحاته في مجلس الوزراء

روما — صرح السنيور موسوليني في اجتماع مجلس الوزراء ان النزاع بين ايطاليا واليونان يجب حله حلاً سلمياً في سبيل التسوية لان مؤتمر السفراء موافق على معظم المطالب المدونة في اول تقدار نهائي لرئاسته ايطاليا الى اليونان ثم ان ما ابدته ايطاليا بأن الحزم تفصل دون تدخل جمعية الامم في المسئلة وستجلو ايطاليا من كورفو متى اتمت اليونان القيام بواجباتها في تنفيذ المطالب المدونة في مذكرة مؤتمر السفراء

وقد كان الرأي العام في بعض البلدان معاديا لايطاليا في بادىء الامر ولكنه تغير بعد ذلك بفضل منظهر الاتحاد البديع الذي ظهر به الايطاليون ثم اشار السنيور موسوليني الى مسألة فيوم فقال ان الحكومة الايطالية عرضت على حكومة بلغراد اقتراحا اخيرا ينطبق على العدل والمسالمة كل الانطباق ولكننا لم نتلق حتى الان ردا من تلك الحكومة فمن الامور السابقة لاوانها ان نبدي الآن حكما او تؤيلا ولا يزال زى في الامكان الوصول الى اتفاق بدون التجاء الى التحكيم وخصوصاً اذا كانت حكومة بلغراد تدرك كيف تنظر اهلها من قنابل الطيارات

الى العلاقات بين البلدين نظرا اوسع نطاقا وابعد مدى

واشار الى مظاهر الانزعاج في الاوساط الدولية وقال انه يتوقع ان تبدأ مفاوضات جاسمة في وقت قريب ويرجب ان يطمئن ان الحل من لسهل الامور وانه على ثقة من ان يتم ولكن الجو اخذ يتجلى الان وليمكن القول بوجه عام ان تؤدي عدا الى جاهة لذلك قد خلت الحكومة الايطالية في المسألة بقصد اقناع الحكومة اليونانية لذلك وقد حضر هذا الاجتماع اكثر الوزراء واستغرقت جلساته ساعتين

حفلة الجلاء عن الاستانه

الاستانة — تكلم الجنرال شارپي فوصف الحفلة التي ستقام في اليوم الثاني من شهر اكتوبر القادم وهو اخر يوم لجلاء جنود الحلفاء عن الاستانة فقال :

ان ثلاث كتائب احداها فرنسوية والثانية انجليزيه والثالثة ستذهب الى مصر (دوله بانجمعا) ومعها القواد العسكريون الثلاث لتوات الحلفاء صحبتها موسيقاتها ورايتها . وسيكون في ذلك المكان كتيبة من الجنود التركية مصحوبة برياتها وعلى رأسها الفريق صلاح الدين باشا فتؤدي التحية العسكرية لرايات الحلفاء ثم للراية التركية

وستجر بعد ظهر اليوم نفسه ثلاث بواخر تقل القواد الحلفاء العسكريين والكتائب الثلاث الاخيرة الباقية في الاستانه

ويواصل الحلفاء مجد ونشاط نقل معداتهم الكثيرة المتراكمة في الاستانة

وقد سلم الحلفاء رجال السلطة التركيه الترسانة والمستودعات البحرية

اعادة جزيرتي تندوس وامبروس الى الترك

الاستانة — سافر اليوم من الاستانة الوطنيون ورجال الجندرمة الموكول اليهم تسليم شؤون الادارة والنظام في جزيرتي تندوس وامبروس وسيتم تسليمهما في ١٥ سبتمبر الحالي وهم طبقا للمعاهدة الرابعة عشرة من معاهدة لوزان

الاستانة — نشرت الجريدة التي يشترك في اصدارها جميع ارباب صحف الاستانة بسبب امتصاب عمال المطابع دعوة موجهة الى عمال العالم تحثهم على اعانة اللاجئين من الترك الى الاناضول

الامير نسويون يصفون عبد الكريم

باريس — نشرت صحيفة الايكودي باري اكثر من السفر التنابير الذي اصدره المسيو دوتايس الصحفي الفرنسي المعروف وهو يعنون (مراكش الجديدة) شغوفا بسياحته في الريف المراكشي وكان المسيو دوتايس قد سافر مندوباً من صحيفة (الجورنال الباريسية الى منطقة الريف المراكشي .

ويذكر قراء فتى العرب اننا نوهنا لهم بعض رسائل المسيو دوتايس من فوز الريفيين وهو اول اوروبي ذهب الى المنطقة المراد غشية

وقد حادث المسيو دوتايس الامير عبد الكريم رئيس الدوله الجمهورية الريفية) وانه مدة طويلة في الريف واحرز ثقة الامير عبد الكريم حتى ان بعض الصحف الاسبانيا صورته بصورة هزلية تمثله كونزير لمولاي عبد الكريم

وقد ذكر المسيو دوتايس في كتابه ان الاثنتي عشر قبيله التي تألف منها سكان الريف المراكشي تضم ٣٠٠,٠٠٠ نسمة في وسعهم ان يقدموا للقتال جيشا مؤلفا من ٥٠,٠٠٠ جندي

قال المسيو دوتايس ولقد اتيح لي معرفة تعداد الجنود التي تحارب الاسبان من عدة جزائر (التعيين) التي كان يدير بها القائد العام كل يوم تموين الجنود المحاربة

صبر الجنود الريفيين

اما اعجب شيء في تلك المستمرة بين الاسبان والمراكشيين فهي الطريقة التي استطاع ان يوفق بها الريفيون بين صفاتهم الطبيعيه وطرائق الحرب الحديثة وتناول المسيو دوتايس الكلام عن الجنود الريفية فقال ان قوة احتمالهم وصبرهم على الحرب واحكام ضرباتهم ورباطة جأشهم في نصب الشراك والمكامن للعدو تدل على انهم نسل اولئك العرب الابطال الذين حاربوا تحت قيادة ملوكهم واتباعهم

ولقد تعلموا اليوم حقر الخنادق واقامة الحالي التي تقيهم نيران الطيارات . ولم تعد ترهبهم الدبابات ...

ويتعاقب الريفيون على القيام بمهام الزحف والحرب بالصور فيقاتل الريفي ثم يعود الى اراضيه واملاكه . ولكل دار او قريه من قرى الريف ملاحي امينة تحمي اهلها من قنابل الطيارات

وادي قنبائل الروميلية مقاومة باسلة من الثائرين والهيئات الحربية التي حصلت على اثر التكتيك الذي حلت بالاسبان في مليلا

انكلترا والاسلام

يقول مراسل التيمس في الاستانة ان السير نيقولا هندرسون القائم باعمال المندوب السامي زار جلالة الخليفة لاعظم واغرب من اقتراح الحكومة الانكليزية الى النجاح في توقيع معاهدة لوزان

وقد لوحظ في بعض الدوائر هنا ان محادثات دامت ساعة وربع متنوعة من الوقت يتسنى فيها بعد مروره قبل الاستانة فروض الاحترام لخليفة المسلمين او ان الصحف لم تشر الى ذلك على اغراض وقوعه . وعلى ذلك فان زيارة السير هندرسون يجب ان تصبح هوى في نفوس خيار المسلمين ولا سيما اذا تذكرنا الدور الذي لعبه سفير السلطان السابق في الغرب في شهر نوفمبر الماضي

بوادر الحلفاء في ازمير

يقول مراسل التيمس في الاستانة ان شيئا من الشك لا يزال يساور النفوس هنا من جراء وجود بوارج الحلفاء في ميناء ازمير

ولكنه علم ان هذه السالة ستسوى قريبا ويؤخذ من الانباء الاخيرة ان تلك السفن غادرت ازمير فعلا

الجلاء عن تركيا

نشرت صحيفة «الديلي نيوز» في عددها الصادر مايلي :

يسير جلالة الفونس البريطاني من الاستانة بسرعة عظيمة ويتنظر ان تصل البقالة (سوريا) الى ثغر (سوثمبتون) يوم ٦ سبتمبر وهي اول سفينة غادرت الميناء التركية وتتناول الجلاء التفاصيل التالية :

الجرس الاول : سيسافر من الاستانة الى جبل طارق

اورطة (سيف) الاولى : من الاستانة الى جبل طارق

اورطة الفرسان الثالثة الملكية : من الاستانة الى مالطه

اورطة رويال سكس » : من الاستانة الى مصر

اورطة (جوردن هايلاندرز) الاولى من الاستانة الى مالطه

اورطة «رويل ويلتشير» : من الاستانة الى مالطه

الاورطة الثانية «لايت بوركس» : من الاستانة لانكلترا

الاورطة الاولى الملكية الايرلندية : من الاستانة لانكلترا

قالت الديلي نيوز وجمل قسم من رجال المدفعية الذين كانوا في تركيا الى مصر ويعود الباقون الى بلادهم

التفاهم بين فرنسا والمانيا

باريس — يشتد قدوم سير «ستروك» احد رجال الوزارة البريطانية الى باريز لابداء الملحات الاولية لتسوية مسالة الديون على ان المارك مازال في هبوط حتى بلغ سعر الدولار اليوم مائة مليون مارك وارتفعت اسعار المواد الغذائية ارتفاعا كبيرا احدث هياجا عظيما بين الاهالي لم تخمد وطاته الاوامر التي اصدرها الحكام الذين ينتهم الحكومة لمعالجة مسالة الكمبيو وكان من اثر تلك الاوامر ان الاهالي في مصارف الكمبيو اصبحت قليلة جدا

رأي الدوائر السياسية الفرنسية

باريس — ترى الدوائر السياسية في باريس ان تصريحات المستشار شتريسلمان هي مظهر وانها بداية خطوة في سبيل الاتفاق ولكنها غير كافية فان فرنسا لا تقبل البتة مناقشة في مسالة المقاومة السلبية التي يحاول المستشار الماوضة فيها

حوادث محلية

لاجل الانتخاب

قدم الحاضرة سامي بك البكري فاقام جيرود وعارف بك انجوق فاقام البقيطرة وحمدي بك انجيوز فاقام في مدرسة الجوقة السورية الحربية ثم الزبداني واجتمعوا امس بدولة الحاكم ويقال أن حديثهم دار حول الانتخاب

فخامة الجنرال

عاد فخامة الجنرال من رحلته التفتيشية في تدمر وحضر امس حفلة

غادرنا الى حالية

ووصل دمشق المسيو شوفلر مندوب المفوض السامي في المصرف الزراعي

عين طاهر افندي مأمور حساب مديرية الشعبة المصرف الزراعي في حاصبيا

وعين مكانه رضا افندي مأمور دوما

وعين محمد افندي مأمور الزرع بالشعبة دوما وتنقل مأمور البيك فهمي افندي لمثل وظيفته في الزرع وعين اديب افندي مأمور وادي العجم ترفيعا للبك وسعدي افندي معاون دوما الشعبة وادي العجم ونديم افندي الموصلي مأمور ازرع السابق معاون الدوما

في الاوقاف

الفيت دائرة الهندسة في مراقبة الاوقاف وسيتعاض عنها بمهندسين

تصحيح خبر

عاد بعد مراجعة الدائرة ذات الشأن ان الحكم الذي صدر على السيد صبحي المقدد بالدعوى التي اقامها عليه الحاج سعيد افندي الحاني كان من محكمة الجزاء البدائية ولم يكن من المحكمة الصلحية كما ذكرنا في العدد السابق وان سببه هو تعريضه بالحاج الموهى اليه بصورة الذم فقط ولا علاقة لاعدنير في سبب هذا الحكم ولذلك اقتضى التصحيح

من مأتم الاطرش

عاد أمس سعادة مصطفى نعمت بك فائد درك الاتحاد السامي عارف بك نكد مفتش العدلية في السويداء بعد ان حضر اماتم المرحوم سليم باشا بالنيابة عن حكومة الاتحاد

جداول الانتخاب

اتمت لجنة تدقيق جداول الانتخاب عملها في قرى كفرسوسة والزبداني وعين وارسلت الجداول الى البلدية

مهاجرو الارمن

بلغ عدد الارمن الذين نزلوا بدمشق وملحقاتها ١٢٥٦٥ اخذوا من دائرة النفوس تذاكر جديدة موقته ولا يزال عدد هؤلاء المهاجرين يزداد ويتسع من يوم الى آخر وقد اتصل بنا أنه بعد عامين يحق لهم ان يتجنسوا بالجنسية العربية فاذا اذاصح ذلك فان يبعدان نرى قريبا في مجلس النواب ممثلين يتكلمون ويصيحون فلا حول ولا قوة الا بالله

حركة البدو

عدم ثلاثون خيالا بزعامة نمر بن سمير شيخ بدو الدعلي على الشيخ سلطان الطيار المقيم بأرض حوش زمزي على بعد ساعتين من غوطة دمشق وقد نشبت بين الفريقين معركة اسفرت عن طرد نمر بن سمير ونشبت جموعه وخسارته اغتناما وجيادا

وقد امل الخير بقيادة درك دوما فاشرت على الغور في مطاردة نمر واخذت الاحتياطات اللازمة لمنعه من ان يعود الى الشقاوة اما الافراس والاغنام فقد سلمت لحكومة دوما فعسى ان الحكومة تظهر قوتها وتضرب بيد من حديد على ايدي العابثين بالامن

حوادث الشرطة

سرقة

ادعى سعدية بنت رسلان السيداني ان البطرونة طه بنت محمد علي الحمصي وبهيجة بنت عبدو ابو دهن سرقتا لها عشر ليرات عثمانية وسبعة وعشرين مجيدي

نار تشتعل

شبت النار في طاحونة السنجقدار فاطفئت فورا من قبل رجال الشرطة والاطفائية ولم تخرق منها الا ثقب كثف خشبي بسيط

مصادرة اسلحة

صودر من محمد حسن من اهالي الضيع من اهالي قرية بيسلا مسدس وعشرة خراطيش وبندقية ومقدار من البارود وهو الخرد وسيرسل الى الديوان العسكري الفرنسوي

حريق

شبت النار بغرفة القواده ماويكا فالتهمت قسم منها واطفئت فورا من قبل رجال النرطة قبل سريانها لمحل آخر وفهم من التحقيق ان ذلك ناشئ عن اتصال شريطي الكهربائي المثبت في الغرفة

***

من سقاريا الى ازمير

تأليف جان كلايتون : تعريب الادارة

— ١٦٢ —

وقد لبث ساهر أساهد أيضي الى همس الهامسين كأنما هو مستعد لتدخل في صغيرات الامور وكبيراتها

كذلك سزاني بك فاته لم ينم وقد كان منذ ايام قد غادر غرفته والتجأ هارباً الى المكتبة وكانت من قديم غرفة والد زوجته ثالثة الذي مات قتيلا في الحربات والاطلال

- ما فكر سزاني بك في الرقاد ليلته تلك وقد أدرك أنه في حاجة شديدة الى التدخل في الحوادث التي بدأت تعترض له وكان كما ذكرنا قد اخلد الى مكتبة علي فؤاد باشا المسكين الذي لقي حامه في الاطلال فأخذ يجمع اليه الاوراق التي كتبها الباشا الشهير عن الاطلال وتشمل تلك الاوراق على تفاصيل خططه واعماله خلال سنوات الحرب

وكانت ثالثة قد رفضت بادي ء بدء الاعتقاد بأن زوجها يفر منها فلحقت به وهي مزمعة أن تساعده في جليل عمله ولكنها لم تكد تقترب منه حتى ادركت الحقيقة وفهمت ان زوجها تراخى الى الوحدة

وأحبت أن لا يكون حليف الانفراد لانها ادركت جيداً بأن اعتزاله سيورث نفسه قلقا وغما ويحملها على الرجوع الى تلك الظنون السوداء التي اثقلت حياته وحياتها معا

ومرت ليال عدة على سزاني وهو يتجافى مشاهده امرأته ثم اتفق ذات ليلة انه رقد في الغرفة التي كان المرحوم علي فؤاد باشا ينام فيها وكانت هذه الغرفة مجاورة لحجرة المكتبة ولما سئل عن انفراده اجاب انه لا يريد ان يعكر على ثالثة صفوها

وعلى هذه الصورة كان الزوجان يعيشان مفترقين

وكان سزاني في تلك الليلة التي جمع فيها الكتب والعقود والمذكرات لم يعمل عملا ولم يشعل النار في المدفأة مع ان البرد كان قارساً شديداً يذيب القوا وقد امتلأت شرفات النوافذ بالبرد ومن الغريب ان سزاني بك في تلك الليلة الباردة افتتح نوافذ غرفته او اخذ يطل منها الى الخارج

وكانت الشموع مسرجة امامه على الطاولة حيث تراكمت اوراق علي فؤاد باشا وقد اثارت هذه الشموع جميع انحاء الغرفة وكان لابد للذين يرونه وهو على تلك الحالة من الاثواء أن يظن فيه الظنون وان هناك اسباباً مؤثرة تدعوه الى الاختفاء . وقد يتساءلون عن البواعث التي كانت ترغمه على القيام طيلة الليل وهو على النافذة

وفي الليلة نفسها لم يعرف رجاني بك طعم النوم كذلك ثالثة! فانها كانت في غرفتها الخلية من الانوار جالسة على مقعد وهي مطرقة الرأس غارقة في بحار احلام ولم تكن تبدد منها حركة نهذة تدل على انها من اهل الحياة بل كان منظرها يدل على الكآبة العميقة التي كانت تسأر نفسها في تلك البرهة .

وكانت ترى انها خسرت جميع لذائذ الحياة فالحب الذي كانت تنعم به غرب شبحه عن وجهها والصفاء الذي كانت ترتاح اليه لم يعد يلطف من تعب حياتها او كان كل شيء يبدو لها مخوفا رهيبا

وكانت قد ادركت كل شيء فهنالك في البرج الجنوبي كان عادل بك اليوزباشي المسكين شاهداً على جريمة ٢ حزيران فاخذت تتساءل في نفسها: اتراه أبصر كل شيء!

لقد يمكن ان يكون اليوزباشي رأى كل تلك المشاهد المظلمة لان للبرج عدة ثقوب يرى الانسان منها كل ما قد يحدث في القصر وفي حدائقه

ليذهب وجداني بك في شروحه لما بقيه

من دائرة اجراء الشام

طرح بالمزايدة العلنية كامل البايكة المالكة لعقد البيدان الوقفي الساطاني الواقع في الحدودة شرقا طريق والباب وقد كان صاحب ملك شلالا الخور خليل ابن عبد الغني درويش وصاحب ملك وعبرة طريق حوش البرج وفيه الباب جنوباً بايكة صاحب ملك ورثة اسليم الدروبي وكامل اسكان الكائنة بالمحلة المذكورة المحدودة شرقا طريق والباب شلالا واقف جامع كريم الدين غربا بايكة صاحب ملك جنوبا صاحب ملك الجاريتين بملك وتصرف المحكوم عليه لطفي آغا ابن مصطفى آغا المهايني القيم بمحلة الصالحية اكراد المحجوزتين تأمينا لاستيفاء الدفقة المذكورة بقيمته مبلغ وقدره ستة وعشرين قرشا صوريا وثلثمائة وستين وسبعة وعشرين قرش صوري ق تاية ١٩ محرم سنة ٣٤٢ الى المحكوم لها ازدهار خانم بنت السيد عبد الرحمن افندي فقة لها ولولديها قاصر ان منها زكريا وبشرى الحارين بحضانة والدتهم وذلك بما فرضة من كل شهر خمسة قروش صوري في بموجب الاعلان الصادر من محكمة الشرعية الشام الواقع في ٨ رجب سنة ٣٤٠ رقم ٩٣٩ عن كان له رقبة بشراء البايكة والمكلف المذكورين او يريد زيادة ليضاعفها ان يراجع دائرة الاجراء بالشام خلال شهر واحد اعتباراً من تاريخ نشر الاعلان والمزايدة تجري يوميا امام دار الحكومة في المواقع المقصيه والبيان تحرر

اعلان

من	الى	مدة المزايدة
١١ حزيران سنة ٩٢٣	٣٠ نيسان سنة ٩٢٣	
تشرين اول سنة ٩٢٣	١٥ تشرين اول سنة ٩٢٣	٤ الاحالة

تقرر في مجلس ادارة قضاء القنيطرة ان تكون مدة المزايدة والاحالة لبيع اعشار الزيتون في القرى المذكورة كما يعرف الاعلان والبيانات الكيفية ليحيط الجمهور بذلك علما

المرأة
ذات الملابس الرمادية

رواية كبرى لطيفة تمثل فصولها الثانية عشر على مسرح قهوة النصر يتخللها بديع المشاهد ولطيف الحوادث فيها صور واضحة لدهاء المرأة ومكائد الرجل وفضيلة الاخلاق العالية : ثم تعرض بعدها رواية النمر المقدس الشهيرة فيلموا الى مسرح النمر يا عشاق الادب والفنون

فتى غسان

مأساة ذات اربعة فصول

وابو عبد الله الصغير

آخر ملوك العرب في الاندلس

ستصدر هاتان الروايتان في القريب العاجل مطبوعتين طبعاً جميلا ومزينتين بالرسوم وقد جعلنا ثمن النسخة الواحدة منهما قبل اتمام الطبع ٣٠ قرشا سوريا وسال الطبع ٥٠ قرشاً سورياً على الذين يودون الاشتراك بهما بمجرد هذه الجريدة وان القيمة حوالة على البريد

عصير الزهر

هذا العلاج مستخرج من نبات الجعر هو اعظم مقوي للدم والاعضا التناسلية ويباع في جميع الصيدليات بزجاجه في الوقت الحاضر ٦٠ شورى المتوع منه في دمشق صيدلية الواحة لصاحبها شريف عناية في سوق الصيدلية

معروف الأديب

يُجمع من كتب عن معروف أنه أديب راسخ القدم في الأدب، تشهد له بذلك أعماله التي خلفها، وذاع بها صيته واشتهر، وأقبل الناس عليها. وتكفي شهادة علي الطنطاوي به إذ يقول: "كان معروف أديباً، ولم يكن صحفياً.."[١].

ثم وصف فيه هذا الأدب خير وصف فقال: "أعني الأديب الذي تجالسه فتجالس طفلاً كبيراً، وتراه فترى صفاء الطفولة وجمالها، وتسمع له فينقلك إذا كان راضياً رائق المزاج إلى عالم مافيه إلا الجمال والحب، عالم القلب، وتقرأ له فينقلك إلى دنيا غير دنيا الناس، يصور لك في رواياته فيافي الجزيرة وأودية فلسطين ومفاتن اسطنبول مزينة بالسحر والشعر، مضمخة بالطيب والعطر، حتى لتظنها جنان الأحلام، وتشك إن كنت تعرف هذه البلاد هل هي التي يصفها معروف أم أنّ في قلم معروف سحراً"[٢].

ثم يرتفع فيه إلى أعلى من ذلك فيقول: "فمن جالس معروفاً فقد عرف الكاتب الأديب، ومن قرأ لمعروف ولم يجالسه لم يعرف إلا جانباً من هذا

---

(١) ذكريات ٢/ ٧، وإن كان للطنطاوي تحفظات تجاهه حين يفلسف الأمور.

(٢) المرجع السابق.

الأديب الكاتب.. ومن لم يقرأ له ولم يجالسه فقد فاته حظ من الأدب العربي الحديث"[١].

وفي مضمون كلام الطنطاوي إعجاب بمعروف الأديب، وإن كانت له عليه ملاحظات، فقال: "فربحت الكثير من أدبه"[٢]، وقال: "لبثت مع معروف خمسة أشهر، استفدت فيها من أدبه"[٣]. وهذه شهادة صدق من أديب لأديب.

وإذن فنستنتج من كلام الطنطاوي أن الرجل أوتي قدرة على استلاب القارئ والاستحواذ عليه بقلمه، الأمر الذي يؤكده آخرون: "كان معروف ينسكب على الورق كما ينسكب الربيع على الطبيعة، فيورق ويزهر ويعطر ويسحر، ويضحك ويبتسم، ويغني وينشد، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية، وأنوار مشرقة.. فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى، وعاطر الصورة ومجنح الخيال، فكأنه في مرح أبداً، وكأنه في فرح دائماً، تتسابق في إنشائه الألفاظ المدوية والعبارات الضخمة والكلمات المختارة، كما تستبق الفتيات إلى عرسٍ فتزغرد وتصفق وتنتشي وتُسْكر، ثم تخلف هذه الموسيقا التي تبدو للسامع عنيفة حيناً، ثم هادئة حيناً آخر كالطبيعة نفسها أو كالموصوفات عينها.. يرسم المعركة فتسمع القعقعة والدوي، ويصف الليل الساجي فترى إلى الأشباح تسبح في الظلام، ويصور المحبين فتحس الثغور والصدور والقدود تلتقي وتنفصل.. كأن عصا سحرية قد حركت المشهد وقادت المنظر.. فاتصل سحر السماء بالحديث، وانتقل عطر الزهرة إلى المرأة.."[٤].

---

(١) المرج السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) قدماء ومعاصرون ٢٤٣.

وقد لخص الطنطاوي أدب معروف بكلمتين حين قال: "كان معروف يوقد النارجيلة، ويعد القلم، فيأخذ من نارجيلته السم، ويعطي من قلمه العسل"[١].

ومعروف نفسه يرى نفسه أديباً لا صحفياً، ويصف أدبه كما يعتقد، ويتحدث عن بواعث فنه فيقول: "وإنما أنا كاتب قصة يُصانع ذوق عصره، كما يقول بعض الناس، ورائد أموات كما يقول بعض.. أدخل المقابر، وأشق الحجر الصلد، وأزيح التراب الغامر، وأبحث عن أولئك الذين طواهم ليل الموت في غسقه، حتى إذا أطللت على الرُّفات الطحين رأيت بعينيّ المضيئتين المتحركتين إلى عينيه السادرتين، وفتشت في صورته عن الطيف الذي أحبه، فتسرقت صورته، وسكرت من لحونه، أو تقمصت أثره، واستوقفته، وتحدثت إليه بلغة يعافها الأحياء من الناس، وتنبو عنها أذواقهم، ولا تسيغها أفهامهم، ذلك الطيف الهالك.. هو الماضي"[٢].

"هذا هو فنّي، وذلكم أدبي، ومن عناصره الحزن والألم والمجد والشهرة والحب والحرب والشعر والزهر والنغم الماتع"[٣].

وإذن فهذا اعتراف منه أن من عناصر أدبه الحزن والألم والمجد والشهرة والحب والشعر والزهر والنغم.. وهذا ما تشهد عليه آثاره التي تركها[٤].

ورأى الدكتور سامي الدهان أن معروفاً الأديب ظهر من خلال رواياته التاريخية الأربع "سيد قريش" و "عمر بن الخطاب" و "طارق بن زياد" و "فاطمة البتول"، فقال: "وهي تمثل جهد الكاتب الغنائي والقاص

(١) ذكريات ٢/ ١٠.
(٢) قدماء ومعاصرون ٢٤٤.
(٣) عن المرجع السابق.
(٤) عن المرجع السابق.

الابتداعي، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه، وجعلت له أسلوباً خاصاً ومكاناً حسناً في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية"[١].

والحديث عن معروف الأرناؤوط الأديب يجرنا إلى الكلام عن مكانته في الأدب الفرنسي الذي تشبع به وتضلع منه. وقد شهد بثقافته الفرنسية الراسخة علي الطنطاوي الذي أخذ هو الآخر من أدبها بحظ وافر، فقال: "كان آية في معرفة الأدب الفرنسي، ولاسيما شعر الحب والعاطفة.. وكنتَ تسمع منه تلخيص قصيدة لموسّيه أو قطعة لشاتوبريان فتظنه أشعر من شاتوبريان ومن موسيه. ولقد سمعت منه قصة جوسلان للامارتين، ثم قرأتها، فوجدت تلخيص معروف أحلى من شعر لامارتين"[٢].

إذن فمعروف قد جمع في أدبه بين ثقافتين شرقية وغربية، ولعل امتزاجهما في نفسه مع موهبته الذاتية الفطرية.. كل ذلك أدى إلى ظهور هذا الأديب العظيم.

وإن كان لابد من تذييل هنا، فإن الذي ينبغي أن يقال عنه هنا: إن الموهبة المتفردة المغروسة في كيانه هي التي صُنع منها معروف، وهي التي طفت على السطح، فكان الأديبَ الذي تميز في أسلوبه. وما زادته الثقافة العربية أو الفرنسية إلا ألقاً وصقلاً.

وأخيراً فيتجلى أدب معروف في ثلاثة مجالات؛ ١) الكتب المترجمة عن الفرنسية، ٢) الروايات، ٣) المسرحيات.

---

(١) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨٩.
(٢) ذكريات ٢/٨.

النقل عن الفرنسية

ترجم معروف الأرناؤوط عن الفرنسية عدداً من الأعمال القصصية، منها "الصقلي الشريف"، و "الطفلان الشريدان" و "الفردوس المفقود" و "الستار الأسود" و "عذاب الضمير" و "الأخرس القاتل"[١].

ومن يقرأ لمعروف مترجماته يدرك أن الثقافتين الفرنسية والعربية لم تكن إحداهما تطغى على الأخرى، فأنت لاتحس في أعماله المترجمة غير إشراقته العربية، وكأن النص الذي ينقله عربي المنبت غير معرَّب، وكأنما هو أُلف بالعربية، وهذا لا يتأتى إلا لكبار الأدباء. وهذا ما شهد به علي الطنطاوي، مما ذكرته آنفاً[٢].

---

(١) وقد مر معنا في مطلع هذا القسم أنه كان يترجم في شبابه قصصاً ينشرها في الصحف، أو على شكل كتيبات رخيصة الورق.

(٢) ذكريات ٢/٨.

المؤلفات الروائية

الذين تحدثوا عن معروف الأرناؤوط ذكروا أن الرواية هي ميدانه الحقيقي، حتى قال صديقه وجيه بيضون: "ولم تنسه الصحافة بأهوائها ومغرياتها هواه في القصة، فلبث يمنحها أيقظ أوقاته، ويخصها بخالص تفكيره وشعوره، ولايرى للصحافة إلا الشأن الضئيل بالنسبة لشأنها الجليل، بل راح لايحفل بالأولى، نجح فيها أم لم ينجح، لأنها وسيلة للتكسب لا أكثر، بمقدار ما يحفل بالأخرى، وهي غايته المثلى، لأنها الغاية التي يتمثل فيها الأدب الحي والمجد والخلود. وليس أدل على ذلك من أن جريدته لم تخل حقولها يوماً من نسائم الرواية، بل لك أن تزعم صادقاً بأن كل ما كان يخطه يراعه حتى ما كان في السياسة قد تلبس بروح السرد والوصف على ما يقتضيه الأسلوب الروائي. فهو لم يخلق إلا للرواية، ولم تخلق الرواية إلا لمثله، كأنما امتزجت بدمه ولحمه وعصبه، واستأثرت بخالص لبه وقلبه"[١]. ومن هنا اشتهرت رواياته التاريخية، وأقبل عليها القراء، لأسلوبها الرائع.

ومعروف ذاته يرى نفسه تتلبس في إهاب روائي، فيصرح بذلك في قوله: "وإنما أنا كاتب قصة، يصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس"[٢].

---

(١) بين الصناديق ٢٢٨.

(٢) عن مقالة عبد اللطيف الأرناؤوط الخطية، ص٨، محفوظة في المجمع.

وهذه كتبه الروائية:

على ضفاف البوسفور (١٩٢٣)

قصة حب استقى معروف أحداثها من جو مدينة اسطنبول الاجتماعي خلال الحرب العالمية الأولى.

بطلة القصة نعمت، تحب ضابطاً بالجيش العثماني يسمى أحمد، لكن أباها زوجها من كمال ضابط في البحرية. يساق أحمد مع الحملة إلى اليمن، ثم يساق الزوج إلى حملة بحرية. وفي غيابه يعود أحمد فيتصل بنعمت التي تخبره بارتباطها الأسري وأنها الآن قد أنهت علاقتها معه، فيدبر لها مكيدة عن طريق خادمتها التي يقدم لها رشوة فتضع لها مخدراً بالشراب، وعندئذ يأتي إليها ويتصل بها اتصالاً محرماً، ينتهي إلى حمل غير شرعي، وهي لاتدري كيف حصل ذلك. وحين يقدم الزوج ويجد بين يدي زوجته طفلاً يوشك أن يطلق عليها النار، لكنه يتمالك رباطه نفسه ويقضي أياماً تعيسة، يعرف بعدها الحقيقة فيقرر الذهاب إلى اليمن للانتقام من أحمد، فيدركه على فراش الموت ليعترف له بما فعل من مآثم. ويعود كمال إلى زوجته لتتجدد سعادتهما ويربيان الطفل بينهما مكرماً.

الملاحظات التي وجهت إلى القصة تجعلها عملاً فنياً ناقصاً، ولكن الذي يغفر للكاتب أن هذا الفن في البلاد العربية مازال في ذلك الوقت ضعيفاً. ويعد عمله خطوات أولى على الطريق.. ومع هذا فإنه يؤاخذ على تقصيره في امتياح الأدب الفرنسي الذي كان واسع الاطلاع عليه وعلى ما فيه من روائع في فن الرواية.. يمكن أن يمده بزاد غزير في هذا الباب[١].

(١) للاستزادة راجع كتاب "معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية"، ١٤٩ وما بعد.

نشرت هذه القصة في العدد ٥٩ من مجلة "اللطائف العصرية" البيروتية، الصادر في نيسان (إبريل) من عام ١٩٢٣م، وحملت اسماً آخر غير اسم معروف الأرناؤوط، وكانت في ٢١ صفحة وستة فصول.

سيد قريش (١٩٢٩)

رواية تاريخية من أشهر ماخطّه قلم معروف. وبها طار صيته، فلم يكن يُذكر معروف الأرناؤوط إلا ذكرت رواية سيد قريش، ولا ينوه أحد بها في مجلس من غير أن يقفز إلى الأذهان اسم صاحبها.. وراجت بين الشبان المثقفين يوم صدرت، حتى غدت مثالاً يحتذى آنذاك للكتابة الأدبية والأسلوب الرصين وللرواية التاريخية.

فرغ من كتابتها عام ١٩٢٩، وأهداها "إلى فتيان الشام والعراق والجزيرة الذين مشى آباؤهم تحت ظلال قريش إلى نواحي العالم لتهذيبه وتعليمه". أصدرها في ثلاثة أجزاء متوازنة بلغت ٨٠٧ صفحات.

ولد موضوع الرواية وفكرتها في نفس معروف يوم كان جندياً يخدم في تركيا خلال الحرب العالمية الأولى. كتب عن تلك المرحلة يقول وهو في بيته الريفي في عاصمة محمد الفاتح: "إن تلك الليلة الساجية قد ابتعثتني على كتابة أول أشعاري في الإسلام؛ ففي استانبول على الشواطئ الهادرة، التي لم تشقها سفن أمير المؤمنين معاوية، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد، فجازتها جيوش محمد الفاتح ارتجّ الإسلام في قلبي، وولّد أنشودة أسمها "سيد قريش"، وإنها لحادثة رائعة، أتمها الله على يدي في زمن يكتسح فيه انتصار القوي الحدودَ الجغرافية، ويستعبد الأمم الصغيرة، يطوي حرياتها، ويفصل بين غابرها وحاضرها"[١].

(١) الموسوعة العربية ١/ ٩٥٢.

كلامه هنا واضح عن سبب كتابة الرواية، وهو سبب نفسي تماماً؛ ذلك أنه تأثر بهزائم العرب وقيام الدول الأجنبية تتحكم بهم، فحرك كل هذا شعوره بالإسلام وفجّره، وسبب له إحباطاً، فتولدت فيه فكرة الرواية.

وهذا الشعور انسكب على قلمه، فإذا به لا يسطّر بمداد حبره بمقدار ما يكتب بدماء شراييه ونبض قلبه.. وإذا الصحف تتالى بين يديه حيّة، تحرك القارئ وتهزه.. وتأخذ بيده إلى الشهرة والمجد.

ويبدو أن هذا السبب النفسي تحَّرك من بواعث أخرى، فقد قرأ آنذاك رواية "فلورينده البيزنطية" للكاتب الفرنسي رينيه دي سيكونزاك، شوّه فيها تاريخ الأندلس، ومسخ حوادثه مسخاً مروعاً، فاشتعلت فيه الغيرة. وثارت فيه النخوة العربية الصافية، والشعور الإسلامي الصرف.

وذكر الدارسون أسباباً أخرى دفعت معروفاً لكتابة "سيد قريش"؛ منها شعوره بأن الحقبة التي هو فيها من تجزئة العرب وتشتتهم تشبه الحقبة التي كانوا عليها قبيل بعثة النبي ﷺ، فوحدتهم الأحداث التاريخية بهجوم الأحباش على البيت الحرام واكتساح الفرس بلاد الشام، الأمر الذي جعل معروفاً يستلهم التاريخ لإعادة الحياة والأمل لأبناء العصر الحديث.

والواضح أن معروفاً أراد أن يحرك في روايته تلك المشاعر القومية لأبناء جيله المهيأ لمقارعة الاستعمار، فيفصّل في تصوير الصراع بين جيلين، جيل متمسك بالقديم، مستسلم لواقعه يتمثل بزعماء قريش التقليديين وأصحاب الأموال من تجارها، وجيل جديد من الشباب المؤمن بالتغيير والثورة، يقوده الرسول ﷺ الذي التف حوله الصحابة ولاسيما الفقراء، فلم تكن الرواية دعوة دينية فحسب بل هي قومية أيضاً ذات أهداف اجتماعية وسياسية من أبرزها التطلع إلى توحيد العرب وتحرير أرضهم.. والتطلع إلى استعادة حضارتهم التي ما زالت أسسها قائمة.

ولا ننسى هنا أنّ الرواية أيضاً وإن كانت فكرتها ولدت أيام الحرب العالمية الأولى إلا أنها كتبت كذلك أيام الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان والمغرب، والانتداب الإنكليزي على العراق وفلسطين وشرق الأردن ومصر، والعدوان الإيطالي على ليبيا.

والدارسون أشاروا كذلك إلى أن من البواعث على كتابة الرواية باعث تربوي ولغوي يرمي الكاتب من خلالهما إلى تقديم نص أدبي مملوء بالجمال الفني يقيس عليه الناشئة لغتهم.

الرواية عموماً تبحث كلها في حياة العرب الاجتماعية والسياسية خلال العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام ببعثة سيد قريش محمد بن عبد الله ﷺ.

زمن الرواية يبدأ من السنوات التي أخذت تظهر فيها إرهاصات النبوة، حتى ظهور سيد قريش محمد بن عبد الله ﷺ، وامتداد دعوته في الآفاق.

أما مكان الرواية فمتعدد، إذ تجري أحداثها في دمشق وما حولها من مناطق حكم الغساسنة، وكذلك الحيرة موطن المناذرة، والبلقاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف.

رسم معروف في الرواية حياة العرب في تلك المرحلة. وصوّر معجزة النبوة وأثرها الاجتماعي والسياسي، ورأى في الرواية أن القومية العربية بمعناها الحقيقي كانت قبل الإسلام، وأن عرب سورية كانوا على جانب كبير من المدنية وعلى اتصال دائم بحضارات بيزنطة وروما وغيرها[١].

الجزء الأول من الرواية يحمل عنوان "سطيح"، في اثنين وعشرين فصلاً، تناول فيه واقع العرب المتجزئ خلال حكم المناذرة في العراق والغساسنة في الشام. وذكر معروف فيه معاناة العرب بسبب تلك التجزئة في

(١) الموسوعة العربية، ١/ ٩٥٢

الأرض والمعتقد والفكر، مع الإشارة إلى المقومات القومية التي كانت تعزز الوحدة في اللغة والدم والمشاعر، مشيراً إلى المحاولات الأجنبية لتفكيك عرى هذه الوحدة باصطناع العملاء وإقامة دولة تدين بالتبعية للفرس وأخرى للروم.. وما أصاب العرب من ويلات بسبب هذا التشرذم.

وفي الجزء الثاني الذي أدرجه تحت عنوان "امرؤ القيس وتيودورا"، ومن خلال ثلاثة وعشرين فصلاً تحدث عن الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أدت إلى تقارب عربي بسبب دخول الأحباش مكة، ثم طردهم عنها، والتفاف العرب حول المناذرة بعد أن سجن الفرس ملك الحيرة النعمان بن المنذر، واجتياحهم الشام، وتصفيتهم ملك الغساسنة، وتدمير قصورهم ومنشآتهم.. متحدثاً عن صنيع الشعراء المتنقلين بين البلاطات في التأليف بين الأطراف المتنازعة، وأثر الشعر في توحيد المشاعر وجمع الكلمة من خلال الأسواق الأدبية كسوق عكاظ.. والإرهاصات التي مهدت لظهور الدعوة الإسلامية بانتظار العرب لسيد قريش ﷺ.

في الجزء الثالث "رايات ذي قار" الذي قسمه إلى أربعين فصلاً، أعاد فيه كتابة السيرة النبوية، وحلل شخصية النبي عليه الصلاة والسلام، وتحدث عن الصحابة الذين كانوا معه في مكة (المهاجرين)، ثم الذين ناصروه في المدينة (الأنصار). وصوّر مواجهة المشركين في أحد.. في ربطٍ بين الأحداث المتباعدة التي وقعت قبل الدعوة وبعدها في الشام والعراق والجزيرة، والظروف التي مرت بإمبراطوريتي الفرس والروم.

وفي العموم:

- كانت رواية سيد قريش سبب شهرة معروف الواسعة التي لفتت إليه الأنظار، وصنعت له المجد الأدبي.
- قصد معروف من وراء تصوير شخصياته في روايته هذه خاصة

ورواياته التاريخية عموماً إلى رسم المثل الأعلى للأجيال العربية، وإلباس الشخصيات ثوب العصر الذي يعيش فيه لتكون أقرب إلى نفوس قرائه.

- قال علي الطنطاوي: "كنا نعد سيد قريش عملاً فنياً كبيراً، على ما فيها من ضعف العقدة الروائية وتشابه المناظر وتكرار الأوصاف وغلبة النصرانية على أجمل صفحاتها"[(١)].

طبعت رواية سيد قريش على النحو الآتي:

- سيد قريش: رواية تاريخية اجتماعية، معروف الأرناؤوط، دمشق، مطبعة فتى العرب، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
- سيد قريش: رواية تاريخية اجتماعية، دمشق، مطبعة فتى العرب، ٣ ج في ٢ مج، ١٩٣١، ٩١٧ص، ٢٢سم.
- سيد قريش، بيروت، مطابع دار القلم، ٢ ج في ١ مج، ١٩٧١، ٤٨٧ ص، ٢٤سم.
- سيد قريش: رواية تاريخية اجتماعية، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨، ٣ج.

عمر بن الخطاب (١٩٣٦)

رواية من جزأين تصف حياة العرب الاجتماعية والسياسية وكفاحهم في سبيل حرية الشام والعراق زمن النبي ﷺ، حتى زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

تصور الرواية معارك الحرية بين الفرس وعرب العراق، وبين الروم وعرب

(١) ذكريات ٤/ ٣٠٤

الشام.. جسّد فيها معروف نزوع المقهور إلى التحرر من الحكم الروماني[١]. يمتد زمنها من عام ٦١٦م حتى ما بعد عام ٦٢٤م، وهي بذلك استمرار تاريخي لرواية "سيد قريش"[٢].

ومع أن عنوان الرواية يحمل اسم عمر بن الخطاب ﷺ، إلا أن الكاتب لم يتحدث عنه إلا عرضاً في فصل واحد، أشار فيه إلى سفره لدمشق زمن الروم.. ويبدو أنه كان ينوي إرجاء الحديث عنه إلى الجزأين اللذين وعد بهما ولم يصدرا؛ إذ خطط لتكون روايته في أربعة أجزاء: "تحت راية سيد قريش"، "فرسان اليرموك"، "خالد بن الوليد"، "آخر ملوك غسان". غير أنه لم يصدر غير جزأين بعنوان "ليالي الشاعر" و "فرسان سيد قريش"[٣].

انصبت عناية المؤلف على وصف الظروف الاجتماعية والتاريخية التي مهدت لظهور الإسلام زمن الروم والفرس، وركّز اهتمامه على البيئات العربية خارج أرض الحجاز ولاسيما في الشام بأقطارها وفي العراق، دون أن يهمل الحديث عن أصداء الدعوة الإسلامية الناشئة في تلك البيئات العربية التي وجدت منقذاً لها من عسف الروم والفرس، وسبيلاً إلى وحدة العرب وحريتهم[٤].

وفي الرواية وصف جغرافي لبلاد الشام، وتحليل للوقائع التاريخية. زار معروف بلاد الرافدين، وتعرّف الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية، كما كان زار سهول الأردن وجبال فلسطين، وتوغل في صحراء سيناء وأشرف على سهول النبط في مفاوز سَلْع.. وخرج من ذلك بوصف تدمر

(١) الموسوعة العربية ١/ ٩٥٢.
(٢) معروف الأرناؤوط ٦١.
(٣) المرجع السابق، ذكريات ٢/ ١٠، ومقالة خطية لعبد اللطيف الأرناؤوط.
(٤) معروف الأرناؤوط.

وبصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين. وفي هذه الأماكن المتعددة تجري أحداث الرواية[١].

خلفية الرواية مبنية على قصة حب؛ كريستيا يحب بنيامينا السامرية، وسافو أخت كريستيا تحب فروة بن عمرو.. وفي هذا السياق يجتمع جمال بنيامينا الفائق وقبح أبيها، مما يدل على تأثر معروف بالنزعة الرومانسية الفرنسية التي تسمح باجتماع المتناقضين معاً[٢].

يصف المؤلف في الرواية مشاهد طبيعية وأوابد تاريخية، في عرض لا يخلو من تهويل و مبالغات أحياناً، وتضخيم للوقائع على خلاف بعدها التاريخي، مما يبعدها عن الواقعية.. وإسهابه في تقديم المعلومات التاريخية أراد منه أن يبعث روح نضال الأجداد في الأبناء[٣].

شخصيات الرواية قسمان؛ منها الحقيقي كزيد بن ثابت وعبد الله بن رواحة وفروة بن عمرو الجذامي، وكذلك نفتالي ومنصور بن سرجون وإن كان لهاتين الأخيرتين تأثير جزئي.. ومنها شخصيات خيالية من صنع المؤلف[٤].

وقالوا في الرواية:

- يبدو معروف في روايته عمر بن الخطاب أكثر التزاماً بالشروط الفنية للرواية التاريخية منه في رواية سيد قريش وأقل إقحاماً للتاريخ والبحث، وإن كانت الرواية هنا لم تسلم من التجاوزات الفنية القصصية؛ فقد دفعه حرصه على تثقيف القارئ ومدّه بالمعلومات التاريخية إلى ذكر تفصيلات لا يحتملها الفن القصصي مما أرهق الرواية.

(١) معروف الأرناؤوط المرجع السابق.
(٢) السابق ٦٣.
(٣) السابق ٧٩.
(٤) السابق.

- التاريخ عند معروف الأرناؤوط باعث ومحرك وملهم لأماني الجماعة، وهذا شأنه في روايته "سيد قريش" كذلك، فالشخصيات الرومانية التي نالت من ظلم قومها لا تسعى إلى الحقد الفردي بل تنزع إلى العدالة والتحرر.

- رسم المؤلف في هذه الرواية معالم الثقافة الهلينية والبيزنطية، وعني برصد الصراعات الدينية التي فجرتها الأماني القومية للشعب العربي في سورية، فيرى أن التنازع الديني حول طبيعة المسيح عليه السلام والفرق الدينية الناجمة عن ذلك الجدل الديني المسيحي ليس إلى مظهراً خفياً للصراع السياسي بين الشعب العربي والشعوب الأخرى الخاضعة للدولة الرومانية. والسلطة تستغل المسيحية لأغراض سياسية.

- يؤخذ على معروف في روايته هذه أنه رسم الثقافة السائدة في سورية آنذاك في الشعر والنحت فجعلها ثقافة الدولة الحاكمة، ولم يول اهتمامه بالثقافة العربية وإسهامها قدر ما أولاها في رواية "سيد قريش" وإن كان قد أشار في مواطن متعددة إلى إسهام سكان سورية في الفكر والثقافة السياسية.

- طغى الجو الثقافي والاجتماعي غير العربي في الرواية على دور الشخصيات العربية كعبد الله بن رواحة في مؤتة وفروة بن عمرو في سلع وعمر بن الخطاب في دمشق، وغيرهم.. فأبرز الشخصيات غير العربية والشخصيات المعارضة والرومان المستعمرين مما منح الرواية أفقاً معاصراً.

طبعت الرواية على النحو التالي:

عمر بن الخطاب،

الجزء الأول: ليالي شاعر.

الجزء الثاني: فرسان سيد قريش.

دمشق، مطبعة فتى العرب، ١٩٣٦، ٢ج، ٦٨٠ص، ٢٣سم.

طارق بن زياد (١٩٤١)

رواية من جزء واحد تجري وقائعها في إفريقيا والأندلس، تتحدث عن نجاح الأمويين في مد المساحة الجغرافية للخلافة الإسلامية نحو تلك البلاد.

تنقسم الرواية إلى قسمين؛ الأول في فتح إفريقيا، وبطله عقبة بن نافع. وقد ورد اسم طارق بن زياد هنا عرضاً، مع أن عنوان الرواية يحمل اسمه، ومثل هذا فعله في روايته عمر بن الخطاب كما رأينا. والقسم الثاني خصصه لفتح الأندلس، وبطله مغيث الرومي. وقد شحن القسم الأول بوقائع التاريخ، على حين ظهر الفن الروائي أكثر في القسم الثاني. وقد أقحم معروف فصولاً تاريخية في روايته هذه إلا ما جاء في الفصلين الأول والثاني منها.

وقد أبدى النقاد ملاحظاتهم على الرواية على النحو الآتي[١]:

- إن بناء الرواية على شخصيتين، وفي بيئتين مختلفتين لا يجمع بينهما غير الإطار التاريخي أضعف حبكتها؛ إذ لم تظهر شخصية (مغيث) إلا بعد الفصل العاشر، ولم تلتحم الحوادث التاريخية بسيرة البطل الشخصية من أول الرواية، مما أضعف الترابط بين القسمين.

- بدا الجزء الأول من الرواية أقرب إلى التاريخ، وإن كان المؤلف قد منحه نَفَساً روائياً، واستغل فيه الحوادث الأسطورية والملحمية، كأسطورة حصن سبتة ونبوءات الساحرة البربرية.

- يربط معروف أحداث التاريخ بحبكة رومانسية، لذا فأغلب شخصياته مأساوية، فمغيث الرومي من سلالة نبيلة نزلت به الأيام، وكثيراً ما يختار أبطاله من اليتامى، وكلهم يثأر من المجتمع الظالم، ويتصف بالنبل والإباء والشجاعة.

---

(١) انظر كتاب معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ص ٨١ وما بعد.

- بدا اهتمامه معروف بالجوانب الحضارية التي نقلها المسلمون إلى الأندلس ومنها زراعة الفاكهة، وتعليم أبنائها أصول الرمي وأساليب الزرع وسوى ذلك من الأشياء الحضارية.

- كان معروف في روايته هذه أكثر التزاماً بالحقائق التاريخية فيما يتعلق بالقسم الأول، لكنه حرّف الوقائع قليلاً في القسم الثاني.

- امتزج في الرواية حب المرأة بحب الوطن، واتحد الشعور الديني بالاعتزاز القومي، ذلك لأن معروفاً كان يريد أن يبعث في النفوس المستكينة مشاعر الثورة والتمرد عن طريق الأدب.

وهذه الرواية أقصر رواياته في الحجم.

صدرت الرواية في دمشق عن مطبعة فتى العرب بدون تاريخ مدون عليها. وكانت في **٢٢٣** صفحة بحجم **٢٣** سم.

فاطمة البتول (١٩٤٢)

رواية اختصت بالوقائع التي جرت في فتنة المسلمين بعد مقتل عثمان ونتائجها في الصراع بين الهاشميين والسفيانيين، وموقف الحجازيين من بيعة يزيد بن معاوية، وقيام العراق بجانب الحسين بن علي ﷺ، وأثر مصرعه على أرض كربلاء في زعزعة الوحدة بين المسلمين وانقسام آرائهم.

تقع الرواية في **٣٤** فصلاً، استند فيها معروف إلى كتب التاريخ والسيرة والحديث الشريف وكتب الأدب الكبرى كالأغاني والكامل والأمالي. وقد أثبت في الهوامش ما اعتمده من مراجع.

وقد سجل النقاد الانطباعات الآتية[١]:

(١) معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ص**٩٥** وما بعد.

- في الرواية لوحات تصويرية للأسرة والأم والولد، تصف الحنين والحب والجزع والوداع إلى جانب لوحات القتال بين جيش الحسين رضي الله عنه وجيش خصمه شمر بن ذي الجوشن وما سقط في تلك الحرب من ضحايا تشير إلى بشاعة القتال ووحشية التنكيل.

- يسجل القارئ أولاً انحياز المؤلف إلى الطالبيين، لكنه يخرج بعدئذ إلى أن الرواية تظهر إعجابه ببني أمية.

- أدخل ببناء الرواية الفني تفصيلات أحالتها إلى ضرب من التاريخ، خصوصاً وأن المؤلف تابع في فصول الرواية الثلاثة الأخيرة فذكر خلاصة تاريخية تحدث فيها عن ولاية العهد ليزيد والمكان الذي مات فيه.

- برع معروف في التحليل النفسي لشخصيات الرواية و لاسيما الحسين، وما تنازعه من أمل وألم في قدره الدامي.

- أشرك المؤلف المرأة في قضايا الحرية والكفاح، ومشاركتها الرجل في تلك القضايا.

- على هامش الرواية شخصية عمرو بن الحويرث و زوجته هند، وقد قام بينهما حب رائع صور فيه معروف الصراع بين الحب والواجب في نفس عمرو، ولكنه ظل صراعاً سطحياً..

- بقي معروف في أسلوبه رومانسي النزعة يتحدث بلسان القلب أكثر مما يرتكز على دوافع العقل والفكر.

صدرت الرواية التي بلغت ٣٧٦ صفحة عام ١٩٤٢م غفلاً عن مكان طبعها، ومسؤولية الناشر، وكانت بحجم ٢٢سم.

فردوس المعري (١٩١٤)

هذه قصة استوحى معروف موضوعها من رحلة قام بها لزيارة بلدة "معرة النعمان" صحبة أديبة فرنسية هي "جان لويس دارو"، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استصغر العناية بالقبر، وهزّه الشمم إلى الفخر، خاصة وأن المرأة أخذت على العرب إهمالهم لهذا الفيلسوف الشاعر الكبير..

القصة رحلة خيالية بعث بها روح أبي العلاء من قبره، وجعلها تطوف في بلدان كرمت العظماء.. وصل إلى جزر سيروس اليونانية وجزيرة زيوس. طاف بجبل الأولمب، ووصف آلهة الشعر في اليونان، ثم حط رحاله بالبانتيون في باريس، ونقل قصائد لشعراء فرنسيين.. وسأل عن موقع المعري بينهم، وذرف الدمع أسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبائه[١].

صدرت هذه القصة عن المكتبة الأهلية في بيروت عام ١٩١٥ في ٦٤ صفحة (قياس ٢٠سم) بعنوان "فردوس المعري: كتاب أدبي خيالي، يتضمن بعث أبي العلاء المعري".

القاهرة (رواية لم تتم)

وهي آخر ما خطه يراع معروف؛ وملابساتها أنه لما أصدر روايته "فاطمة البتول" عام ١٩٤٢م أعلن في جريدته عن قرب طباعة رواية "القاهرة" مشيراً إلى أنها تتناول أمجاد الدولة الفاطمية التي قهرت جيوش بيزنطة وجرمانيا وإيطاليا مجتمعة في صقلية. ووعد قراءه أن سيتمتعون بألوان فاتنة في

(١) كلمة د. سامي الدهان (خ)، ومقالة عبد اللطيف الأرناؤوط بالموسوعة العربية ١/ ٩٥٢، وفيها: "وبعد صدور كتابه عن المعري بادرت الدولة إلى الاهتمام ببناء الضريح، وأقامت قربه مكتبة ضمت آثاره". وانظر كتاب "معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية" ١٢٧ وما بعد.

وصف غابات النخيل على ضفاف النيل وليالي الحب في الجواسق المرمرية عند شواطئ البحر المتوسط.. وذكر أن الرواية ستبلغ ١٥٠٠ صفحة.

وبعد رحيل معروف لم يُعثر بين أوراقه مما وعد به إلا على فصل واحد من الرواية، حمل عنوان "سيادة العرب في صقلية" وصف فيها المعارك التي وقعت عام ٩٨٣م بين العرب المسلمين وجيوش الدول المذكورة[١].

يبدو أنه خطط للرواية تماماً حين أعلن عنها، ثم شغلته عنها شواغل عديدة، فتوقف عن الكتابة، ذلك لأن بين الإعلان عن الرواية وبين موته ست سنوات، وهذه مدة تكفي لمثله أن ينجز أكثر من رواية.. فما السر في هذا؟ مات ذلك مع صاحبه.

(١) معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ١١١.

المؤلفات المفقودة

حين رحل معروف الأرناؤوط عن الدنيا خلّف في أوراقه كتباً لم تنشر، ويبدو أنه كان يستكملها أو يراجعها أو يهيئها للطبع، وكانت محفوظه في قبو العمارة التي أنشأها في ساحة النجمة وسماها "دارة سيد قريش" تيمناً بهذا الكتاب الذي طيّر اسمه في المشاهير. وكان في القبو أيضاً أعداد من جريدة "فتى العرب" منذ أول صدورها، وكتب أخرى كانت عزيزة على معروف.

ثم طال الزمن في القبو غير الصحي، والأوراق أشد تأثراً من أصحابها في صحتها، وهي مرتع للآفات الطبيعية التي أفسدتها فضاعت.

ذكر الباحثون لمعروف من هذه الكتب ثلاثة، قالوا: إنها هامة في بابتها، وأهمها كتابه "حياتي" وهو مذكراته، وضياعها خسارة لتاريخ حقبة مملوءة بالأحداث كان عاشها الرجل، ولو أنها طبعت لأضافت أشياء مهمة.

أما الكتابان الآخران فهما "نصارى العرب في الشام والعراق" و "تاريخ الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر"، وفقدانهما يفقدنا الحكم على معروف الأرناؤوط الباحث، بعد أن عرفنا فيه الصحافي والروائي والمسرحي.

ولم أقع في المصادر التي توفرت عليها شيئاً من أشعار معروف الذي أشاد الباحثون بشاعريته المبكرة سوى قصيدتين مترجمتين سيأتي ذكرهما عما قليل، ولعل هذا قد ضاع مع الصحافة التي تبعد عن الشعر..

المؤلفات المسرحية

يبدو أن معروف الأرناؤوط شغف بالمسرح منذ شبابه، وقد أشار الذين تحدثوا عنه إلى اشتغاله بالتمثيل في تلك المرحلة من حياته. وهذا ليس بدعاً من رجل انكب على الثقافة الفرنسية، وعبّ منها، وترجم عنها. وهي لغة أدبها أدب روايات ومسرح، تجذبك إليها من هذين اللونين البارزين فيها.

ويرى الأستاذ عبد اللطيف الأرناؤوط أن معروفاً كان له تميزه في المسرح العربي، بالرغم مما يقال فيه: "إن فضل معروف الأرناؤوط يتجلى في فن الكتابة بالمسرحية العربية، وتحريرها من الحشو والعواطف الزائفة والنزعة الغنائية الخطابية، وتوجيه المسرح إلى أغراض نبيلة، كانت أمتنا تتعطش لها. لقد بدا معروف الأرناؤوط داعياً قومياً واضح الأهداف صافي العروبة، لم يشب فكره القومي شائبة، وإن كان ممتزجاً لديه بشعور ديني إسلامي، دفعه إليه أنه لم يكن عربي الأرومة، بل كان عربي الثقافة، تجمعه بأبناء العروبة رابطة الفكر والدين"[1].

وهذه أعماله المسرحية، وعرف منها:

---

(١) معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ١٤٨.

أحلام ودموع (١٩٢٩)

أو "أبو عبد الله الصغير".

هي أهم مسرحياته.. وتحكي الحوادث التي سقط في آخرها حكم بني الأحمر آخر معاقل المسلمين في غرناطه بالأندلس، وعلى يد آخر ملوكهم أبي عبد الله الصغير[١]. والمسرحية في خمسة فصول.

قال النقاد في هذه المسرحية[٢]:

- كتبت بأسلوب غربي من حيث تحليل الشخصيات ورسمها على نمط شخصيات المسرح اليوناني، فأبو عبد الله الصغير مريض النفس، يعيش في صراع داخلي بين القدر وحرية الإرادة. المؤلف وضع أمامه نموذج أوديب أو هاملت أو ماكبث.
- ظهر تأثر معروف بالمسرح اليوناني بالاعتماد على العرَّافين، وإبراز دور القدر والمصير كشأن مسرحية أوديب ملكا.
- تأثر معروف كذلك بتقسيم المسرح اليوناني إلى مأساة وملهاة، وخالف المسرح الإبداعي الذي يمزج بينهما في عمل درامي.. مع أن أسلوبه يجنح إلى الرومانسية.
- ومن تأثره بالمسرح الكلاسيكي تصويره لحياة الملوك والعظماء، واعتماد لغة أدبية رفيعة.

---

(١) هو محمد بن علي، المشهور بأبي عبد الله الصغير، والإسبان يسمونه بوأبدِل. ولد في غرناطة، وتوفي في فاس عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م بعد أن أُجبر على بيع أملاكه ومغادرة بلاده إثر توقيعه على معاهدة التسليم.

(٢) معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ١٤٧ وما بعد.

- خالف الكلاسيكيين الذين يعنون بالفرد والإنسان، وصنع صُنع الرومانسيين في الاهتمام بقضايا الوطن والأمة، مما صرفه عن التعمق في رسم الشخصيات.
- أبرز في المسرحية دور المرأة في الحياة السياسية من خلال أم أبي عبد الله، وشخصية أخرى نسائية.

صدرت المسرحية على النحو الآتي:

أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس (مأساة تاريخية ذات خمسة فصول)، معروف الأرناؤوطي [كذا]، حلب المطبعة العلمية، ١٩٢٩، ١٠٦ ص، ٢٣سم.

وفي السنة نفسها صدرت هذه المسرحية عن المطبعة العلمية بحلب بعنوان آخر: "أحلام ودموع"، معروف الأرناؤوطي، ١٠٦ص، ٢٣سم.

مسرحيات أخرى

وكتب معروف في المسرح "أدرنه في النار"، صوّر فيها سقوط هذه المدينة التي استردها الجيش العثماني فيما بعد، وكتب كذلك "جمال باشا السفاح"، و "أنور بك القائد العثماني"[١].

(١) لم أقع على هذه المسرحيات، وقد ذكرها عبد اللطيف الأرناؤوط في مقالته بالموسوعة العربية ١/ ٩٥١.

معروف الشاعر

أشرنا في الحديث عن معروف في حياته الأولى إلى أنه ألقى قصيدة وهو في السادسة عشرة من عمره أمام جمع في احتفال غير عادي، فأثار إعجاب الحاضرين.

إذن فشاعرية معروف مبكرة، وقد شغله الأدب فخاض فيه، فلا غرو أن يكون عانى الشعر وأبدع كما جاء في ترجمته، ولكنه فيما يبدو قد أخذته الصحافة والرواية، فشغلتاه عن القريض، وإن كان على المرجح أنه يفزع إلى الشعر بين الحين والآخر يصب فيه شجوى نفسه على طريقة الرومانسيين الذين تأثر بهم في نفوسهم الحزينة البائسة.. وعلى طريقته في الكتابة وأسلوبه النثري. وما عرف له ديوان.

وشعر معروف يسير فيه على نهج الخليل، إذ لم يكن شعر التفعيلة ولا شعر الحداثة معروفاً، لذا فقد التزم بوحدة الوزن والقافية..

وليس بين أيدينا في المراجع من قصائده إلا القليل، على أن شاعريته تجلت في ترجمة قصائد صاغها شعراً، منها قصيدة "دموع" للشاعر الفرنسي لامارتين، قال فيها[1]:

قفا نبك في الأطلال عهداً ومربعاً وسهداً وتشبيباً تقضى مع العمر

فإن دموع القلب تبعث بيننا حياة الهوى المدفون في جانب النهر

وقد تُبعث الآمال فينا جديدة فتزدهر الأيام بالحب والزهر

---

(١) انظر معجم البابطين.

ويورق في الأطلالِ غصنٌ مصوِّحٌ وينجابُ هذا الليلُ عن أفقِ البدر
وترجع أيامُ الشبيبةِ بعدما توارتْ، وأذكتْ في الحشا جمرةَ الذكْر
وطفلين كنا كالحمام وداعةً نطير مع الآمالِ والفن والشعر
نطوف حيال النهرِ نلهو تلذذًا بمرأى مغيبِ الشمسِ أو مطلع الفجر
تحيط بنا نُعمى الخلودِ كأننا ملائكةٌ زُفَّت إلى الناسِ بالطهر
نقيمُ على سفحِ الجبالِ وكورَنا وليس لنا غير السفائح من وكر
ونصرف أيامَ الشبابِ قريرةً ونستقبل الإلهامَ من حبنا العذري
ونضحك للغابات سرّ قلوبنا وكم في ظلال الغاب من ذلك السرّ!

ومن ترجمته لقصيدة "وقفة على الطلول" للشاعر أندريه شينيه:

وما وقوفي على الأطلال أسألها عن غابر العهد في ظل الأناشيد
إلا التغاضي عن الأحزان في زمن بذلت في محوه كدي ومجهودي
أطوف في الخربات الصمّ مكتئباً كأنني طارق أو طيف ملحود
منقباً عن ضياء في جوانبها قد كان يشرق في أيام تنكيدي
فلا أرى غير إظلام يروعني كما يروِّع طيفُ الخوف في البيد
وقد ضللت طريقي فهي غامضة أقضي بها عيش تغريب وتشريد
أسري، وفي النفس آمال محطمة وما حياتي سوى تذكار منكود
بالله يا بسمات الصبح إن سطعت أنوارِكِ الغرّ في أيامنا السود
زوري مضاجعنا من بعد ما ملئت حزناً وجيئي بطيف منك مسعود
وزيني مهد أحلامي بنرجسة وحركي نغمات الناي والعود
لعلني بعد يأس واجد أملاً حلواً يحدد أوقات التغاريد

القسم
الثالث

معروف الأرناؤوط
في
عيون معاصريه

صفحة بيضاء
رقم 94

الصورة الشخصية

بعد كل تلك الجولة مع معروف الأرناؤوط قد يخرج القارئ منها برسم صورة الرجل في خياله، ليست صورته الخَلْقية الجسمية، وإنما بصورته الخُلقية والنفسية بأبعادها وجوانبها.. إلا أن الأفضل أن نعرف ماذا قال عنه في ذلك معاصروه.

رسم صورته الخارجية وسمته صديقُه وجيه بيضون[1] (ت ١٩٧٠م) فقال: "وجه اجتمعت إليه وجوه من الوسامة والوضاءة والملاءة، وجبهة عريضة، وعينان كأنما رنّق فيهما النعاس، فهما مغفيتان في يقظة، مستيقظان في غفوة، وبسمة ناعمة هادئة، في مطاويها الخفية معانٍ حيّة عما انطوت الحياة من مفارج وآلام. فإذا أخذته بجملته على وهلة وبنظرة مجملة تكذَّبك الحساب في حقيقة عمره، لأن ما ارتفع من نضارته وما يخالط هذه النضارة من أناقة يأبى إلا أن يسقط عدة سنوات من مجموعة أيامه، ولأن صمته الوقور ولهجته الساخرة واستغراقه الحالم وانكماشه الدائم، كل ذلك يمثله غير ما عرف به،

(١) وجيه بيضون أديب دمشقي المولد والوفاة، عمل في الطباعة، وأدخل فن الروتوغراف إلى سورية، له كتاب "العبر" على طريقة كتاب النظرات للمنفلوطي، و "فن الحياة" و "صراع مع الحياة" و "فن النجاح" و "أناتول فرانس" و "بين الصناديق" و "الشيوعية في الميزان". (الأعلام ٨/ ١١٠).

ويغيّب كثيراً من سجاياه ومواهبه. وهو من بعدُ ربعة بين الرجال، يمشي متخايلاً مترنحاً. وأنت إذ تستمع إليه في حديثه، يستهويك صوته بغنته المحببة، وقد امتزجت باللهجتين السورية واللبنانية"[١].

ووصف ولعه بالدخان فقال: "وكان من عادته أنه لايحرك القلم بيمينه إلا والنرجيلة إلى شماله يقرقر بها، مستحيياً، دفين خواطره بما يعقد من سحب دخانها متغلباً بقوة منها على ما يداخله من السآمة والهم"[٢]. وتحدث الطنطاوي عن ولعه بالدخان على طريقته في الكتابة فقال: "هنالك (في إدارة الجريدة) كان معروف يوقد على النارجيلة، ويعدُّ القلم، فيأخذ من نارجيلته السم، ويعطي من قلمه العسل"[٣].

هذه هي الصورة الخارجية لمعروف، تستطيع أن تضم إليها أنه كان يتزين بالطربوش كعادة أهل زمانه.. حين لم يكن حاسر الرأس من الرجال أحد، وكان عيباً في الشرق وفي الغرب كشف الرؤوس ولكنّ الرجل كان حليقاً.. والغريب أن لم يحلق لحيته فحسب، بل أتبعها بحلق شاربيه. وكان هو أول من فعل ذلك بدمشق[٤].

ووصف وجيه بيضون الجانب النفسي من أخلاق معروف فقال: "فإذا تحولت إلى خلائقه وسرائره فأنت إلى مثل الطيبة عند عباقرة الرجال أو صغار الأطفال، وهي الزكية لاتعلق بها رزية،والفياضة تتربع بالخير والعطف، يجوز بها الشر، فلا يُلفى عندها مستقراً، وتتخايلها الخصومة فلا تجد إلا تبصراً، وينزل بها الخطب فتلَّمسُ منه تجملاً وتظهراً. عرفته سهل الخُلق، لين

(١) بين الصناديق ٢٢٤.
(٢) المرجع السابق ٢٢٧.
(٣) ذكريات ٢/ ١٠.
(٤) المرجع السابق ٢/ ١٢.

العريكة، جزل المروءة.. وعرفته دقيق الحس، رفيع النفس، حيي الطبع.. وعرفته طلق اليد، حسن المعاملة، مأمون المغيّب.. ثم عرفته فوق ذلك متفائلاً أبداً، يغلّب فرح الحياة، إذ هو يتناولها من وجهها المشرق الباسم، ويراها رضيّة ما رضيت فيها النفس، حليمة حتى في غضباتها ما أُخذت بالحلم، حافلة بالمتع والزينة عند من يستمتع بها ويتزين لها.. وقد لبث على تفاؤله هذا إلى أواخر أيامه، ما تفارقه البسمة الساخرة ولا الدعابة الهانئة الساحرة.

وأول ما وقع عليه نظري تنوّرته ضاحكاً مستبشراً، وكان ذلك في أول الحرب العالمية الأولى، وآخر ما ودعته ولم أكن أعرف أني أودعه تركته كما عرفته متهلل المحيا مشرقاً، فما غيّر من تفاؤله الأصيل مرض وبؤس ولا شقوة أو أنس، ولا شباب ماتع أو كهولة تمشي إلى الرمس، بل ظل هو هو هادئ السرب في كل خطب، رطب اللسان بالمحمدة والشكر في كل أمر، مقبلاً على الحياة"[١].

وكان تلميذه في الجريدة علي الطنطاوي على رأي آخر في وصف معروف رآه نزقاً غضوباً إذا لم يكن رائق المزاج، وطفلاً كبيراً إذا صفت نفسه: "كان معروف أديباً، ولم يكن صحفياً[٢]، ولا أعني الأديب الذي أخذ من كل شيء بطرف كما قال ابن خلدون، فمعروف لم يأخذ إلا شيئاً واحداً هو الأدب، أخذه من أطرافه كلها، وترك له كل شيء. ولا أعني الأديب الذي روى الشعر وحفظ الأخبار ووعى التاريخ، فمعروف لم يكن راوية ولا حافظاً ولا مؤرخاً.. ولا أعني الأديب في عرف العامة، وهو الرجل المهذب الحواشي الرقيق الطبع العف اللسان، فما كان لسان معروف

(١) بين الصناديق ٢٢٥

(٢) في هذا نظر، وقد عالجنا موضوع الصحفي في مكانه.

عفيفاً ولا نظيفاً، وكان إذا غضب نطق بأشنع السباب، وأبشع الشتم.. ولكن أعني الأديب الذي تجالسه فتجالس طفلاً كبيراً، وتراه فترى صفاء الطفولة وجمالها، وتسمع له فينقلك إذا كان راضياً رائق المزاج إلى عالم ما فيه إلا الجمال والحب، عالم القلب.. ولقد كان معروف أسأل الله له الرحمة مؤمناً لايشرك بالله شيئاً"(١).

نحن هنا أمام صورتين لرجل واحد، كتبها قلمان مختلفان، وكلاهما يعبّر تعبيراً عاطفياً.. وهذا ما يدعونا للتوقف وإعمال النظر، أولهما وجيه بيضون، كان ينظر بعين المحبة إلى ذلك الجانب المشرق، وكان فيما يبدو صادقاً، والآخر يعاين من الطرف المظلم.. وكان كذلك لايجانب الحقيقة؛ والمرء كل امرئ منا له صورة متعددة لا ضير في ذلك، يصورها له الناس بانطباعاتهم عنه، وغالباً ما تكون صحيحة أو تقارب الصحة، اللهم من الأعداء المفترين أو المغرضين..

والذي اجتمع عليه وجيه بيضون وعلي الطنطاوي أنهما كليهما يصفه بصفة الطفولة كما رأينا في النصين السابقين، ولعل هذه الصفة يتصف بها كثير من الأدباء كما قال توفيق الحكيم: "من استطاع من الرجال أن يظل طفلاً فهو الشاعر"(٢).

على أن الطنطاوي الأديب صاحب النكتة يضخم الصورة ويرسمها كما يفعل الرسام الساخر (الكاريكاتوري)، وفوق هذا فصديقه بيضون يتردد إليه تردد الصديق فلا يرى منه إلا ما يروقه في حين يعايشه الطنطاوي سحابة النهار في العمل، والعمل يبدي من المرء أشياء قد لاتسر الآخرين لضرورات المهنة.

---

(١) ذكريات ٢/٨

(٢) من كتابه "من أدب الحياة".

ويمعن الطنطاوي بالسخرية من معروف، فيشير إلى جوانب في الرجل لاتصدق حين يقول: "وكان في المدرسة أجهل الناس بالحساب، فلما كبر عُني به وصار من كبار الحاسبين، وبلغ من حذقه أنه حفظ عن ظهر قلب عدد أيام الأسبوع وشهور السنة، وأدرك عشر العشرة ومعشار المئة، وعرف قطر الدائرة وقاعدة المثلث، وصار يعرف أن ستة في سبعة تساوي سبعة وثلاثين، وفي رواية سبعة وأربعين.. ولم يحقق أيها الصحيح منهما.. فالمسألة فيها قولان. ولكنه لم يصل إلى معرفة الباقي من الريال (المجيدي) بعد شراء علبة الدخان، فكان يشتم البياع كل مرة عشرين شتيمة، منها أربع على الأقل من الشتائم المبتكرة التي لم ينطق بها قبله أحد من الهجائين، لا الحطيئة ولا جرير ولا دِعْبِل ولا المتنبي، ويتهمه بالسرقة والاحتيال، حتى يجتمع ثلاثة من المارة، ويعدوا القروش ثلاثاً من المرات، ويحلفوا له ثلاثاً من الأيمان على أن البياع لم يسرقه، ولم يحتل عليه"[(١)].

ولكن الطنطاوي عاد فأكد على جانب الإيمان في نفس معروف، وهو إيمان ممزوج بالوطنية، فقال: "وكان يظهر إيمانه على أسلات قلمه؛ لما غلب اليونان بمعونة الحلفاء على إزمير في نهاية الحرب [العالمية] الأولى، وجعلت عساكرهم تجول في طرق اسطنبول، تنبهت العداوة في نفس كاتب في الشام، فكتب متشفياً، معرّضاً بالسلطان العظيم محمد الفاتح.. وتألم معروف كما تألم المسلمون، ولكنه ما تكلم. حتى إذا طردوا من إزمير، وعادت إلى الترك، كتب مقالة تستحق أن تسطّر -كما يقول الأولون- بماء الذهب، وقعت على قلوب المسلمين برداً وسلاماً، وعلى قلوب عدوهم جمرة وضراماً"[(٢)].

---

(١) ذكريات ٢/٨. ولن يصدق أحد بالطبع هذا الكلام إلا على سبيل الفكاهة التي كان الطنطاوي يسعى إليها.

(٢) ذكريات ٢/٨.

وإلى شيء من مثل ذلك أشار سامي الدّهان، فتحدث عن جانب التقوى والصلاح في نفسه، وخصوصاً أيام الحرب العالمية الأولى، ونقل عنه في هذا قوله: "من ذلك اليوم الذي لاينسى ذكراه أبناء هذا الجيل المروَّع ما جفوت محراب القرية خلال صباح وخلال مساء"، وعقب الدهان بالقول: "تأثرت نفس الأرناؤوط خلال الحرب بالدين، فلاح له التقى على سبيل الخوف، وانصرف عنه الورع حين انقشعت سحب الحرب"(١).

ولكننا هنا يجب أن نفرق بين الإيمان وبين التدين والورع، وإن كان بينهما حظ واسع من الارتباط. هذا، ونستطيع القول: إن كتاباته تدل على إيمانه كما أشار الطنطاوي، وملاهيه في أيام شبابه وثلة من أصحابة حوله وما يأخذون به أنفسهم تدل على انصرافهم عن الورع المسلكي.

وفي صورة معروف الذاتية أنه كان سيء الخطّ جداً. وسوء الخطّ صفة تلازم كثيراً من الأدباء وأهل العلم، ولعل سببه سرعتهم في الكتابة، وانكبابهم على القراطيس حين يترسلون، فتنثال عليهم الأفكار حتى تتجاوز مقدرة أقلامهم التي تهرول لتلحق ما يتدفق عليها انصباب السيل. ثم يصير سوء الخط لهم عادة.

قال الطنطاوي: "وكان عمالها (جريدة فتى العرب) من الصفوة المختارة، لأن خط معروف أعجب خط رأيته، وكان الناظر إليه أول مرة لايدري هل الذي يراه خرابيش ولد مبتدئ أم نوع من الخط المسماري القديم؛ لذلك لم يكن يقدر على قراءته إلا من تعوّد عليه من مهرة العمال"(٢).

وإلى مثل ذلك أشار وجيه بيضون حين قال: "والغريب الغريب في معروف على ما عرفنا فيه من ذوق دقيق وإحسان بالغ أنه كان أبعد الناس عن

(١) مجلة المجمع، مجلد ٢٩، ص ٢٨٦.
(٢) ذكريات ٢/ ١٠.

الذوق والإحسان في خطّه.. فأنت منه تلقاء طلاسم، وقد اضطرب بعضه في بعض، فليس ثمة انسجام، حتى ليخيل إليك أنك تطالع مثل الآثار الطامسة عفّت عليها الأيام"[١].

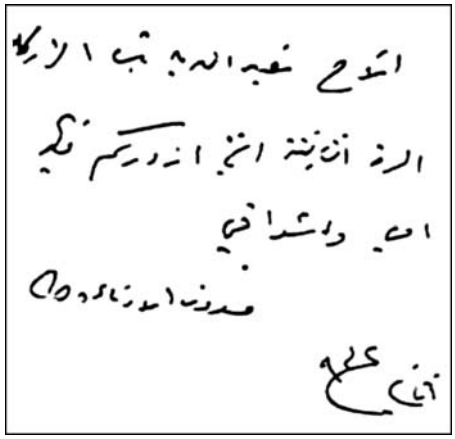

صورة خط معروف الأرناؤوط
(بطاقة زيارة للشاعر خير الدين الزركلي).

ومن تمام التصوير لشخصية معروف أن نشير إلى ناحية مهمة مركبة فيه، وهي الفكاهة التي كانت تتلبسه، خصوصاً إن كان مع أصدقائه، أو كان في موقف يستدعي الطرفة..

كان في حداثته عابثاً كثير العبث "يركب رأسه في كثير من أموره، يرسل نفسه في العبث على السجية، وربما اشتط، فتسبب للأذية. ومن ذلك أنه اضطر ذات مرة على خلوّ ذات يده إلى قصد أحدهم لمسح حذائه، فتعاهد وأحدَ رفاقه على أن يرميه بحصاة على بعد مذ يراه قد انتهى من شأنه، كيما يتظاهر بلحاقه غاضباً، وينجو مما علق بذمته غاصباً"[٢].

(١) بين الصناديق ٢٢٦.
(٢) المرجع السابق ٢٣١. أقول: كان حسن الخط مطلوباً، وكان درس الخط من الدروس الأساسية في المدارس.

ولابد أن يكون لهذه الحركة أخواتها التي لم يدونها عنه أحد كما ذكرها أصدقاؤه..

أما في شبابه وكهولته فالفكاهة لازمته في القول والتصرف، حتى ذكروا نتفاً مما كان يأخذ بها نفسه؛ "دخل مرة على واحد من رؤساء الوزارات كان من عادته أن يفتح بابه لأصحاب الحاجات، فيسمع منهم، ثم يأخذ الهاتف فيكلم الموظف (المختص) يقول له:

- ألو، أنا مرسل إليك فلاناً فاقض حاجته حالاً.

وكان هذا الهاتف مقطوع الشريط، فدخل عليه معروف بعد أيام ومعه كيس قدّمه إليه، فوجد فيه الرئيس قطعة شريط. قال: "ما هذا؟" فقال: "مولانا، العفو، جئتك بهذه القطعة لتصل بها شريط هاتفك لأنه مقطوع على ما يظهر. فضحك، وكلّم له الموظف بالهاتف الثاني"[(١)].

واشتهرت عنه طرفة غريبة، لاتدل على حبّه للفكاهة فحسب، وإنما توحي كذلك بسرعة بديهته؛ ذلك أنه لكثرة ما كتب عن تاريخ الإسلام والشؤون الإسلامية وذاع صيته وتلقاه القراء في الآفاق بالقبول ظن الذين لم يروا صورته ولم يعرفوه أنه شيخ معمم ملتحٍ. دخل عليه مرة جماعة من علماء الهند يزورونه وكان يدخن النارجيلة فسألوا عن "مولانا معروف الأرناؤوط". قال معروف يروي الحادثة: "فخفت إن قلت لهم: أنا هو أن يكسروا النارجيلة على رأسي، فقلت لهم: سيأتي قريباً، فتفضلوا اقعدوا. ورفعت النارجيلة وجعلت أرقب الطريق، فمر الشيخ أديب تقي الدين الحصني نقيب الأشراف[(٢)]، فقلت: هاهو ذا، وأشرت إليه،

(١) ذكريات ٢/ ١١.

(٢) أديب تقي الدين الحصني الحسيني، من أهل دمشق، ولي نقابة أشرافها مدة، وعني بتاريخها، فجمع كتاباً سماه "منتخبات التواريخ لدمشق". توفي بها عام ١٩٤٠م.

ففهم، ودخل بهيئته وهيبته وجبّته، فقاموا إليه يقبلون يده ورأسه"[١].

ولئن كانت الفكاهة تمثل جانباً مهماً من شخصية معروف -وكان معروفاً بها مشتهراً- لقد كان الظرف من سمات الأدباء والشعراء منذ الزمن الغابر، ولن يكون الأديب أديبا ولا الصحفي صحفياً إلا إذا كان ظريفاً، فكيف بمن جمع الصحافة إلى الأدب؟!

ولقد أجمل الدكتور سامي الدهان شخصية معروف بطريقة أخرى قريبة المأخذ، فقال: "مالت نفسه إلى التواضع، وجنح قلبه إلى البساطة، ونظر إلى الدنيا من خير وجوهها، وفهمها من أبسط مسالكها، وضحك لها، واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد، أو كما يفعل شعراء الفرنسيين المتحررين بباريس، فعشق اللهو وأحب الحياة وألف الدعابة. وكان أصدقاؤه يحاربون به الغم في المقهى، ويطردون به الحزن في الملهى. وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة، حتى لكأنه أشعة تبدد ظلمات النفس، وريح تعصف بالكدر. والذين يعرفونه يروون له النكت الغريبة. وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة في مختلف العواصم العربية؛ فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر والاستخفاف النادر والكلم السافر، وعاش أبداً في شباب العمر، يضحك قلبه، ويفجّ لسانه، لايعرف من فصول الحياة إلا الربيع، ومفاتن الربيع"[٢].

وإذن فمجلس الأرناؤوط كان يضجّ بالحياة، رجال يتحلقون حوله، ينسون مشاكل الدنيا المتعبة، ويخوضون في حلقة طرائف وملهيات ولذّة إخوان، جمعتهم نفسيّات متشابهة، ربما تقتصر عليهم، لايريدون أن يخرج

(١) ذكريات ٢/ ١٢، بين الصناديق ٢٣٢.
(٢) مجلة المجمع، مج ٢٩، ص ٢٨٦.

هرجهم وسقطات ألسنتهم إلى ما حولهم من مجتمع محافظ، لايحبون أن يأخذ عنهم صورة مشينة.. فإذا خلا بعضهم إلى بعض أفاضوا بالفحش من القول وبالهجر من الكلام. وإلى ذلك أشار الطنطاوي بقوله عن ثلة معروف من أصحابه الذين يألفونه يوم كان يعمل معه في جريدته: "ولقيت عنده كثيراً من الصحفيين والأدباء، ولكن لم أخالطهم، ولم أندمج فيهم، وكان اجتماعي بهم في الجريدة في ساعات العمل، لم اقترب من مجالسهم في غيرها أو في غير وقت العمل.. وكانوا يوقرونني على صغر سني، فلا يتحدثون عنها (كذا) أمامي، وإن كانوا في حديثها ودخلت عليهم قطعوه أو بدلوه"[١].

(١) ذكريات ٢/ ١٣.

الفكر

من خلال ما مضى من الحديث عن نشأة معروف الأرناؤوط وأعماله وكتاباته نستطيع أن نقول بكل شفافية: إنّ فكر الرجل عربي إسلامي بكل ما في هذه المقولة من معنى وأبعاد.. ولما كان لكل شيء ظاهر وحقيقة.. فلنعالج الموضوع أولاً من ظاهره، ثم نأتي بعد ذلك على مضمونه.

فإذا توقفنا عند الظاهر رأينا أن العناوين الكبرى التي انطلق منها معروف عربيةُ الصياغة؛ فالدوريات التي شارك فيها أو أسسها تحمل أسماء "العَلَم العربي" ثم "الاستقلال العربي" ثم "فتى العرب".. وفي هذه دلالة واضحة عن العروبة التي رفع معروف رايتها منذ شبابه. فإن طالعت أسماء كتبه وجدت ما يؤكد هذا منذ "سيد قريش" محمد ﷺ، و "فاطمة البتول"، و "عمر بن الخطاب" و "طارق بن زياد".. حتى إن النخوة العربية قد أخذته حينما رأى قبر أبي العلاء المعري مهملاً غير ملتفت إليه، فعدّ ذلك استهانة ليس بالشاعر ربما، بل بمكانة العروبة التي يمثلها أبو العلاء بعظمته في الأدب العربي.

وهل أدل على اعتزاز معروف بالعروبة وتمثلها في فكره ووجدانه أكثر من التحاقه بصفوف الثورة العربية هارباً من الجندية التركية، يقطع الفيافي من اسطنبول حتى جنوب بلاد الشام ماشياً على الأقدام، يتعرض للمخاطر لينضم إلى الجيش العربي هناك، ويبقى تحت راياته، يُمضي وقتاً نحو سنتين، ويسير بسيره حتى يدخل دمشق، ليستريح قلبه في عاصمة الأمويين.

وفي غمرة انخراطه بالعروبة ينسى معروف فيما يبدو بلد أجداده ألبانيا، لا لأنه يتنصّل منها، بل لأنه على الأرجح يراها جزءاً من تاريخ هذه الأمة، وهي عند كسائر بلدان المشرق المسلم الذي يحبه على العموم.. إن ما يعنيه هو العروبة، ولا ينحو نحو النزعات الأخرى.

ثم إن روح العروبة يتمثل عند معروف بالتاريخ الإسلامي، والعروبة عنده لاتنفك عن الإسلام، وهذه هي حقيقة الشيء الذي أشرنا إليه آنفاً.. وليس من داع إلى القول بأن رواياته تشهد بذلك في موضوعاتها المغلّفة بعاطفة تضج بالشعور الإسلامي والاعتزاز به.. وهو شعور قد يفور أحياناً إذا واجه أفكاراً مغرضة ضد الإسلام من خصومه.

شهد بذلك تلميذه علي الطنطاوي، فاشار إلى هذه الخلة فيه صراحة، كما مر معنا حين قال: ".. وكان يظهر إيمانه على أسلات قلمه؛ لما غلب اليونان بمعونة الحلفاء على إزمير في نهاية الحرب (العالمية) الأولى، وجعلت عساكرهم تجول في طرق اسطنبول، تنبهت الصليبية في نفس كاتب في الشام، فكتب متشفياً، معرّضاً بالسلطان العظيم محمد الفاتح.. وتألم معروف كما تألم المسلمون، ولكنه ما تكلم. حتى إذا طردوا من إزمير، وعادت إلى الترك كتب مقالة تستحق أن تسطّر -كما يقول الأولون- بماء الذهب، وقعت على قلوب المسلمين برداً وسلاماً"[(١)].

وفكره هذا هو الذي جعله يبقى مخلصاً للبيت الهاشمي حتى بعد دخول الفرنسيين واضطراب أهواء الصحفيين بين يمين وشمال، وقد سجلت له هذه المواقف.

ويتجسد فكر الرجل العربي الإسلامي في أسلوب كتابته بحبه لهذه اللغة العربية التي استطاع أن يقدم إلى أبنائها بياناً مشرقاً، لا يقدر على مثله إلا من أحب العربية وآمن بها.

---

(١) ذكريات ٢/ ٨، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك النص في الحديث عن الصورة الشخصية.

الأسلوب

سبقت الإشارة إلى أسلوب معروف الأرناؤوط عند الحديث عن أدبه وما قالوا عنه، عن عباراته وجمله وانسياب ديباجته وحسن تعبيره وقوة عارضته.. ويمكن أن نورد هنا زيادة عما سلف نماذج من أدبه.. تشفع ما وُصف به أسلوبه هناك. ثم نأتي لنتساءل: هل يفترق أسلوبه في الرواية والقصة والمسرحية عن أسلوبه في الجريدة؟ هل يختلف قلمه بين الصحافة والأدب؟ فتسيل نفسه في الرواية بغير ما يضطرب مداده في السياسة؟

يبدو أن الرجل يعنى بأسلوبه في كل حالاته، وهي موهبة فيه أصيلة، بحسب قول المثل الفرنسي المشهور "الأسلوب هو الرجل" le style est l'homme. ومن هنا كان أسلوبه في الصحافة مشرقاً، وربما تلقف المثقفون جريدته لأسلوبه.

قال في إحدى افتتاحيات جريدته: "ما ضل موسوليني وما غوى، وما نطق عن الهوى. ولقد صرح لبني قومه أن الحرية خيال من أخيلة الشعراء. وإنا لنؤيده في قوله، ولا نصدع له رأياً، أو ننزع إلى تشويه بعض الشيء من مبادئه، وما ذلك إلا لأنه أدرك قبل كل إنسان غيره أن المصارحة أجدى على الشعوب، وإن كانت السياسة البريطانية تخدع البسطاء والسذج بما تعرض أمامهم من مظاهر الحرية وبضاعتها.. فإن السياسة الإيطالية على النقيض

منها، تحتذي الصراحة وتجافي المواربة، وإن كانت تقوم على القوة وترتكز على الأنانية.

ولقد أصبح الشرقيون يعتدُّون الحرية قصيدة من قصائد الشعراء، تصف أمامك الفضاء الفسيح، والفلق الصبيح، والسيل المائج الهادر، والبحر الهائج الثائر، صاروا لا يصدقون بها، ولا يؤمنون بآياتها، وهم في نكولهم عنها مصيبون. ومن العدل والإيمان الحقيق أن لا يعتقد الإنسان عقيدة لا يعرف لها صورة ولا رسماً"[١].

وقال في المقال نفسه:

"إنهم يقاتلون في سبيلها تلك الحرية الغالية الخالبة، ثم يتهافتون على الإحراق والإغراق وضرب الأعناق. ثم متى سكنت الرياح العاصفة، وهدأت فورة النفس في ضمير الإنسان الجامح، تراهم نزاعين إلى التضييق عليها بقوانينهم وأنظمتهم وشرائعهم، فياللحرية وقد ولدت في المصارحة، وعاشت واكتهلت في المواربة والمخاتلة"[٢].

واضح مما سبق أن الرجل يعنى بأسلوبه مع أنه يكتب للصحافة، وهو أسلوب كما نرى متأنق يختار فيه كلماته اختياراً، ويرصف جمله رصفاً، مع النزوع إلى السجع لإكساب نصه بعضاً من الموسيقا الناعمة.

أما عناية معروف بأسلوب رواياته فناهيك، يقول في "سيد قريش":

"ثم فتح الباب بيده الراعشة، فانحسرت أمامه الحجرة الغارقة في ظلمة راعبة، فوقف على العتبة يتأمل تارة في عمرو الراكع عن كثب من سرير مارية، وطوراً في جبين هند الأصفر الذابل. وكانت هذه الأخيرة في صمت

(١) فتى العرب، عدد ٢٠ أيلول ١٩٢٣.
(٢) المصدر السابق.

رهيب، تخللته روعة الموت، فاستعرض كل ما حوته الحجرة من تماثيل وأنصاب ودمى وأسلحة ودروع وأزهار وزخارف، فعلم أنه عن كثب من ذلك الوكر الذي اعتاد الملك الشاعر أن يفيء إليه مع حبيبته سيلفيا، وأدرك أن هذا المثوى الذي يمثل شيئاً من حياة قريرة وادعة حفلت بالحب ولذاذاته قد حال في هذا اليوم إلى أفق طافح بالضباب والبرد والثلوج والموت حتى لم يعد للحب فيه معاذ يستذري به، وهو الذي يعلم أن الحب لا يعيش في البرد، ولا ينمو في ضباب الموت وزمهريره اللاذع..

لقد كاد يبكي أمام هذا المشهد، فمنعه الجَلَدُ البكاءَ، وأراد قلبه على عصيان إحساسه، فظل كالتمثال يحدق إلى هذا المشهد المؤثر، حتى لقيت نظراته الحارقة نظرات عمرو الشاردة، فاصطدم قلبه الذي حبس خفقانه بقلب عمرو الواله الملتاع، فخيل إليه أنه مسوق إلى التأثر بما يحيط به من هذه المشاهد المؤلمة، فتقدم من عمرو باسطاً يديه، ووثب عمرو إليه ويداه ممدودتان. ثم تقدم هذا خطوة، وتقدم الآخر خطوة حتى تلاقيا، وحتى غاب الأول في ذراعي الثاني، وكان العناق الشجي الإطار البديع الذي جمع إليه هاتين الصورتين الكامدتين"[1].

فنحن هنا إزاء نصّ يوحي إليك بأن صاحبه صائغ يضع الكلمة المناسبة إلى أختها، والجملة المنحوتة بجانب صاحبتها، في انسجام موسيقي رائع، يأخذك إلى لوحة فنية كأنها رسمت بريشة فنان.

وتميز أسلوب معروف باستعمال كلمات عربية قريبة إلى الغرابة.. في صياغة خاصة أو تعبير غريب، فهل هو ينتقيها أم تنساب إلى قلمه في خضم انغماسه في حب اللغة؟ أو ربما من أجل التفرد بأسلوب خاص به؟

يقول مثلاً:

---

(١) سيد قريش ٢/ ٢١٠، طبعة مطبعة فتى العرب بدمشق ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

- يقبلون على الموت في صورته الجاهمة.
- تحت ستار ليل شديد التعبيس.
- تلفحه رمال إفريقيا بنار ذات صليل[١].
- فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك بين جناحيه[٢].
- ثم شخص إلى ناحية النابغة الذبياني واستتلى[٣].
- وعاذ فريق بعمود الأفاعي فركبوا غاربه[٤].
- فأجوس خلال حجرة أمي، لعلني اغتصب منها قبلة خرساء وهي نائمة تحلم بطيف ابنها[٥].
- دنفت الشمس، وأخذ الطفل الكابي يخلع على جذوع النخيل ظلالاً بلون الذهب، وامتدت جبال العرب المتلفعة بالكدري على حواشي الأفق امتداداً أرعش رمال الصحراء، فإذا عليها من الطَفَل سحب خضلة المطارف مبللة الأردان[٦].

وبعد،

فهذا هو أسلوب معروف، وهذه هي نماذج منه مختلفة، وهي كما نرى هويته فيما يبدو، عرف بها، وأقبل عليها قراؤه ينهلون منها، ويعجبون بها، ويثنون عليه خير الثناء.

---

(١) معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية ١١٤.
(٢) سيد قريش، ط ١٩٢٩م، ١/ ١٢٠.
(٣) المرجع السابق، ١/ ١٢١.
(٤) المرجع السابق، ٢/ ١٧٦.
(٥) المرجع السابق، ٣/ ٦٠٠.
(٦) المرجع السابق، ٣/ ٦٥١.

ولعله حصد من هذا الأسلوب خيراً؛ شهرةً ومالاً وجاهاً أشرنا إلى كل ذلك من خلال البحث.

ولكن هذا الأسلوب الذي أفاد الشباب والمثقفين آنذاك قد مضى وقته اليوم كما مضت مع الأولين أساليبهم، إذ كان لكل عصر أسلوبه، مثلما يكون لكل عصر كذلك زيّه وهيئاته وما تواضع عليه أهله.

صفحة بيضاء
رقم 112

خاتمة و نتائج

بعد هذا الاستعراض لسيرة المجمعي الأديب الصحفي معروف الأرناؤوط يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

- نحن إزاء رجل أديب بكل ما في هذه الكلمة من معنى، شهد له بذلك معاصروه من الأدباء الكبار.
- عاش الرجل حياته منذ شبابه الأول في حراك سياسي قومي، فانخرط في الثورة العربية وأخلص لها، كما أخلص للبيت الهاشمي.
- عمل حياته يحمل قلمه في اتجاهين؛ الصحافة والأدب، متحلياً خلال ذلك بنشاط وكدٍّ غير عاديين.
- أعجب كثيراً بالتاريخ العربي الإسلامي فتوفرت رواياته عليه تقريباً فكان بحق رائد الرواية التاريخية.
- نَفَسه في الرواية نَفَسٌ طويل، حتى بلغت بعض رواياته ثلاثة أجزاء وبعضها أربعة اختصرها إلى جزأين.
- عني معروف الأرناؤوط بأسلوبه، وحاكه بعناية فائقة، فرصف جُمل نصوصه وانتقى عباراته بدقة، وبرع فيه بالوصف، حتى جاءت رواياته لوحة مرسومة بريشة فنان.

- اتصف معروف بالجرأة العملية والفكرية والنفسية، فقد هرب من الجندية حين رآها ظالمة، وانحاز إلى صفوف الثورة، واشتغاله بالصحافة عنوان جرأته كما مر معنا.
- تمتع معروف بحب النكتة والفكاهة ومجالس الأنس مع ثلة أصدقائه.
- ملأ معروف دنياه بشقيها الأدب والصحافة، وشغل الناس. وحاز شهرة ومكانة فيهما. ولعل ذلك كله كان سبب اختياره عضواً في المجمع العلمي العربي.

أهم المراجع والمصادر

الكتب

- الأدب العربي المعاصر في سورية ١٨٥٠-١٩٥٠م، مكتبة الدراسات الأدبية ١٥، سامي الكيالي، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م، ط٢.
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين (١-٨)، خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م، ط١٢.
- بين الصناديق: خمسون عاماً في رحاب المطابع، ومع أهل الفكر، وجيه بيضون، دمشق، دار مطابع ابن زيدون، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- تطور الصحافة السورية في مئة عام ١٨٦٥-١٩٦٥م، جوزيف إلياس، بيروت، دار النضال، ١٩٨٣م.
- سيد قريش (تقديم منير العجلاني)، معروف الأرناؤوط، دمشق، مطبعة فتى العرب، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
- الصحافة السورية ورجالها، منذر الموصلي، دمشق، دار المختار، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- عبقريات وأعلام، عبد الغني العطري، دمشق، دار البشائر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- عمر بن الخطاب (المقدمة)، معروف الأرناؤوط، دمشق، مطبعة فتى العرب، ١٩٣٦م.

- قدماء ومعاصرون، سامي الدهان، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.
- مجمع اللغة العربية، المجمع العلمي العربي بدمشق، نشأته وتاريخه، مازن المبارك، دمشق، مجمع اللغة العربية، رجب ١٤٣٠هـ/ حزيران ٢٠٠٩م.
- معجم الجرائد السورية (١٨٦٥-١٩٦٥م)، مهيار عدنان الملوحي، دمشق، الأولى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبد القادر عياش، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الكويت، هيئة المعجم، ٢٠٠٨م، مج ٢٠/ ٤٤٩.
- معروف الأرناؤوط رائد الرواية التاريخية في سورية، عبد اللطيف الأرناؤوط، دمشق، مطبعة عكرمة، ٢٠٠١م.
- موسوعة السياسة ١-٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، المؤسسة، ١٩٩٩م، ط٤.
- الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، الهيئة، ١٩٩٨م وما بعد.

الدوريات

- الاستقلال العربي: رئيس التحرير: معروف الأرناؤوط، مدير الجريدة: عثمان قاسم، العدد الأول: ١٤/ ١٠/ ١٩١٨م.
- فتى العرب: صاحب الجريدة ورئيس التحرير: معروف الأرناؤوط، العدد الأول: ١٨/ ٢/ ١٩٢٠م.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد ٢٩، ص ٢٨١-٢٩٥.
- الناقد: صاحبها: أديب الصفدي، السنة الأولى، دمشق، ١٩٣١م.

الخطيات

إضبارة معروف الأرناؤوط في مجمع اللغة العربية بدمشق، وفيها:

١- كلمة الدكتور سامي الدهان يوم استقباله في المجمع العلمي العربي عن سلفه الأستاذ معروف الأرناؤوط. بتاريخ ٤ شباط ١٩٥٤م.
٢- معروف الأرناؤوط ١٨٩٢-١٩٤٨م. مقالة الأستاذ عبد اللطيف الأرناؤوط.
٣- وثائق أخرى، مراسلات مع محافظة دمشق ومديرية التربية بدمشق.

مراجع للاستئناس (مقالات)

- معروف أحمد الأرناؤوط، هلال ناتوت، الفكر الإسلامي - لبنان، عدد ١٠ صفر ١٤٠٧هـ/ أكتوبر ١٩٨٦م.
- معروف الأرناؤوط وفردوس المعري، سمير شيخ الأرض، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عدد ٥٩-٦٠ مارس/ إبريل ١٩٧٦م.
- معروف الأرناؤوط في حمى الخالدين، محمد الأرناؤوط، الرسالة، مصر، العدد ٧٦٣، ربيع الآخر ١٣٦٧هـ/ فبراير ١٩٤٨م.
- الرواية التاريخية حول صدر الإسلام في بلاد الشام بين الفن والتاريخ، إبراهيم العسافين، الدارة، عدد ٢ محرم-ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ أغسطس-أكتوبر ١٩٨٨م.
- الروابط التاريخية عند معروف الأرناؤوط، رابح لطفي جمعة، المجلة العربية، عدد ذي القعدة ١٤٠٠هـ/ سبتمبر ١٩٨٠م.
- فردوس المعري: رائعة أدبية لمعروف الأرناؤوط، عبد اللطيف أرناؤوط، التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤١، ربيع الثاني ١٤١١هـ/ أكتوبر ١٩٩٠م.
- معروف الأرناؤوط صاحب جريدة فتى العرب، برهان الدين الداغستاني، الرسالة، مصر، العدد ٧٦٤، ربيع الآخر ١٣٦٧هـ/ فبراير ١٩٤٨م.